النموذج الاجتماعي: مشكلاته ومصادره

الأستاذ الدكتور كامل عمران*

الملخص

يدرس هذا البحث بإسهاب الصعوبات والمشاكل العلمية المختلفة حول فكرة النموذج الاجتماعي في العلوم الاجتماعية ولاسيما علم الاجتماع. ويعيد النظر في مجموعة واسعة من الأدب في هذا الموضوع وتحديد العديد من النقاط الغامضة المرتبطة بهذا المفهوم. ويطرح بعض الحلول والتوضيحات الفكرية المجردة للتعبير عن الاختلاف الدقيق بين النموذج الاجتماعي ومفهوم الدور. ويقدم فيما يلي تصنيفاً لأربع من الآليات أو المصادر الكبرى التي قد تنشأ عنها النماذج الاجتماعية فيحددها علماء الاجتماع: المهنية والنفسية والثقافية أو الثقافية الفرعية الخرافية. فكل مصدر أو آلية يشكل نموذجاً اجتماعياً مختلفاً، أو مختلفاً قليلاً.

وأخيراً يعرض خمس خطوات أساسية بهدف تحليل النموذج الاجتماعي. وربما تزودنا خمس الخطوات بشيء من المعرفة العميقة حول نتائج الدراسة المنهجية للنموذج الاجتماعي و تعقيداتها. وفي الختام يبيّن الكاتب الواقع الحالي المؤسف والمتردي للبحث السوسيولوجي في النماذج الاجتماعية ويتنبأ بإحياء الإرث القديم في بحث النماذج الاجتماعية وتحليلها.

* قسم علم اجتماع- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق

مقدمة:

قد نرى أحياناً أجنبياً في الشارع أو ممثلاً على الشاشة فنقول في أنفسنا، وربما بابتسامة عريضة: إنه بالتأكيد نموذج اجتماعي، فمفهوم النموذج في مثل هذا السياق له أحد المعنيين: يتضمن المعنى الأول أن هذا الشخص شخص متميز، وأحد أفراد صنفه، وفرد متعدد الألوان تثير سماته الخاصة الفضول لدينا. أمَّا المعنى الثاني فيتضمن أن هذا الشخص يمكن عدّهُ مثالاً نموذجياً لمجموعة معروفة أو صنف اجتماعي، يذكرنا بأفراد آخرين لهم قيم وسلوك وأنماط وعادات متشابهة، فنميل لتصنيف هذا الشخص وعدّهُ بمنزلة قالب يشكل هذه الأصناف، وما دام الاهتمام هنا هو علم الاجتماع فإن البحث سيكون في المعنى الثاني "للنموذج".

ما يحدث في الواقع عندما نعدّ شخصاً قالباً نموذجياً للآخرين هو عملية حدسية معروفة. يقوم الدماغ في الوقت نفسه بتشرب مجموعة الرموز التي تظهرها صورة الفرد كقصة الشعر والملبس والسلوك واللهجة، ثم يربطها برموز معروفة يتميز بها أشخاص معنيون قام الدماغ بتصنيفهم من قبل.

أولاً - الإجراءات المنهجية

1 . مشكلة البحث وأسئلته:

من يتابع الكتابات العلمية في المجال الاجتماعي، يجد تشابكاً كبيراً في القضايا، وغموضاً في المفاهيم والمصطلحات وخاصة في مجال النماذج الاجتماعية. لهذا تتركز مشكلة البحث في تحديد الغموض الذي يكتنف مفهوم النموذج الاجتماعي والصعوبات العلمية التي تواجه الباحثين للوصول إلى مفهوم واضح في هذا المجال. وهل هناك تطابق بين النموذج الاجتماعي ومؤدي الدور، وأين تكمن الفوارق؟ وما المصادر الأساسية التي ينشأ عنها النموذج الاجتماعي؟ وكيف يمكن تحليل النموذج الاجتماعي؟

ولكن ما يدعو إلى الدهشة هو أن قلة فقط من علماء الاجتماع واجهت التحدي الفكري لمحاولة حل هذه الألغاز بتقصي مصدر ظاهرة النماذج الاجتماعية وأصلها على أنها انعكاسات لثقافات مختلفة. وإن من تولوا هذا التحدي بحماس ،كانوا مؤرخين وفلاسفة ونقاد أدب ولكن نظرتهم لا تتضمن هموماً سوسيولوجية، وفضلاً عن ذلك قلة من علماء الاجتماع والإنسان قام ببذل الجهد لتعريف مفهوم النموذج الاجتماعي أو لتطوير أدوات نظرية وتطبيقية لتحليل النموذج الاجتماعي.

2 . أهداف البحث:

يرمي البحث إلى تحقيق الأهداف العلمية الآتية:

أ - توضيح المشاكل العلمية التي تكتنف مفهوم النموذج الاجتماعي في العلوم الاجتماعية ولاسيَّما علم الاجتماع.

ب - إظهار المكانة المعرفية لمفهوم النموذج الاجتماعي.

ج - بيان الفارق بين مؤدي الدور والنموذج الاجتماعي وتحديد هذه الفوارق.

د - تعرّف المصادر أو الآليات التي تشكل النماذج الاجتماعية.

هـ - اقتراح بعض الخطوات الأساسية لتحليل النموذج الاجتماعي.

3 . منهج البحث:

نظراً إلى طبيعة البحث الذي يغطي مجالاً من الدراسات الاجتماعية حول النموذج الاجتماعي، فقد تم اختيار المنهج الوصفي التحليلي و طريقة المقارنة التحليلية للتعامل مع هذا البحث. لأن ذلك يسمح للباحث بتعرّف مفهوم النموذج الاجتماعي عند الباحثين، وتحديد أوجه التشابه والاختلاف في تعريفهم للنموذج الاجتماعي، وتبيّن المشكلات التي تعترض طريقهم، والدخول معهم في نقاش علمي.

ثانياً - مفهوم النموذج الاجتماعي

تكشف مراجعة الأدب الاجتماعي والإنساني القديم الذي يتضمن مصطلح النموذج الاجتماعي أو يدنو من نموذج اجتماعي معين النقاب عن معانٍ متنوعة وأحياناً متناقضة. ويعرّف ألفرد شوتس Schutz هذه العملية في مقالته حول التمثيل النموذجي:" في التكوين التمثيلي للإدراك أقوم بعملية إلغاء الأسماء،أجرد فيها الخبرة التي عشتها من الإطار المكاني والزماني ضمن مجرى الشعور فأجعلها بذلك لا شخصية"[1] . وقد تحدث هذه العملية عندما نواجه نماذج مألوفة كنماذج مترفي باريس أو أصحاب لهجة جنوب ألمانيا، وعادة ما نقوم بتمييز النماذج الاجتماعية(كالمترف) بشكل عفوي دون إزعاج أنفسنا بتقصي الأسباب الواقعية التي تجعل من المترف مترفاً، ولو أسهبنا في هذا الموضوع لأدركنا أن الجواب غير سهل كما يظهر في البداية. وفي الحقيقة كلما تأملنا لغز الأسباب التي تجعل المترف يتصرف أو يفكر بطريقته الخاصة تلك ازدادت القضية تعقيداً، لأنها تتألف من عناصر ثقافية، فالنماذج الاجتماعية هي نتاج عملية اجتماعية.

كما استخدم أورين كلاب Orrin Klapp، الذي كتب في موضوع النماذج الاجتماعية أكثر من أي باحث آخر، تفسيرين مختلفين. في تفسيره الأول، " يتم إدراك النماذج الاجتماعية كشخصيات خرافية أي صور شعبية شكلتها المخيلة الجماعية". ويصف كلاب في مقالته الأحمق كنموذج اجتماعي، مفهوم النموذج الاجتماعي " بأنه مفهوم جماعي للشخص أو السلوك...نجده كثيراً في الفن الشعبي والأدب والمسرح".[2]

وعلى عكس التفسير الأول يربط تفسير كلاب الثاني النماذج الاجتماعية بأشخاص حقيقيين. ويعرف النموذج الاجتماعي بأنه: "مفاهيم اجتماعية للأدوار التي لم يتم

1 Schutz, A. , 1967, P, 186.
2 Bauer, Ullrich (2002): s.22 Klapp, E. O., 1949, P.157. In: Bauer , Ullrich, 2002, S.22

تنظيمها أو تسويغها بشكل كامل، والتي تساعدنا على إيجاد طريقنا في المنظومة الاجتماعية ... فهي الدليل لبناء الدور وفيما عدا ذلك يكون الدور مغموراً وخفياً".[3]

نلاحظ في التعريف الثاني أن النموذج الاجتماعي يُعرضُ،لا بوصفه أداة علمية للتصنيف الاجتماعي، بل كوسيلة عفوية للتصنيف يستخدمها المجتمع. وفي نظر كلاب تشكل النماذج الاجتماعية مفاهيم اجتماعية غير رسمية للدور تساعدنا في توجيه أنفسنا في المنظومة الاجتماعية. وبتعبير كلاب:

"بين معرفة مكانة الشخص الرسمية فقط ومعرفته عن قرب هنالك شيء من المعرفة تملأ هذا الوسط... هذه المعلومات يمكن نقلها وتقديمها بسرعة لتوجيه شخص ما، كطالب القرض، بشكل فعال أكثر في التركيبة الاجتماعية. والنموذج الاجتماعي هو البديل لمعرفة الشخص الذي يتعامل معه معرفة حقيقية وهو غالباً بديل جيد"[4]. ويشبه تعريف كلاب للنموذج الاجتماعي كثيراً مفهوم "صور المكانة" الذي قدمه غوفمان Goffman.

كما يوجد تشابه بين فكرة بوث Booth و بلير Blair عن النماذج الاجتماعية وتفسير كلاب الثاني. فهم على كل حال يعرفون النماذج الاجتماعية ليس "كخريطة لتركيبة الدور"، أي إنَّه ليس كشخصيات خاصة بوظيفة اجتماعية، بل بعبارة بسيطة "أدوار غير تقليدية في منظومة ثقافية اجتماعية"[5]. ومن أمثلتهم على مثل هذه النماذج الاجتماعية نذكر الوجوديين ورفيعي الثقافة والناس العاديين وأصحاب اللهو والمتعة.

وعلى خُطَا كلاب يسير كل من توب Taub و ليجر Leger في تفسيرهما النموذج الاجتماعي بأنه تصنيف اجتماعي عفوي أكثر مما هو تأليف باحث. وعلى كل حال فهما ينسبان إدراك النماذج الاجتماعية إلى مجموعات صغيرة معينة في المجتمع لا

3 Klapp, E. O. , 1958, P. 674.In: Baumann , Zygmunt, 2003, S.35.
4 Klapp, E. O. , 1958, P. 674.In: Baumann , Zygmunt, 2003, S.35; Goffman, E. , 1959.
5 Booth, B. and Blair, M. , 1989,P.236.

إلى عامة الناس بالكامل. ففي دراستهما لمجتمع شاب شاذ يستخدم توب وليجر مصطلح النموذج الاجتماعي لوصف الخصائص التي تطلقها المجموعة الشاذة نفسها على أعضائها. ويتوافق فهمهما للنموذج الاجتماعي مع فهم صاموئيل سترونغ Samuel Strong ، إحدى الشخصيات الفكرية المهمة في هذا الميدان. وقام سترونغ ببحث النماذج الاجتماعية ودراستها التي يعود إليها أعضاء جماعة ما ويجدونها في لغتهم اليومية . فهو "يصف النماذج الاجتماعية بأنها أفكار تتوصل إليها المجموعة باختيار أو تجريد أشكال بارزة للسلوك يظهرها بعض أعضائها ويكون لها دلالات خاصة فيما يخص هموم وميول واهتمامات هذه المجموعة"[6]. ويستخدم سترونغ مفهوم النموذج الاجتماعي في دراسته للعلاقات العرقية بين البيض و الملونين الأمريكيين في ولاية شيكاغو. فوجدت تصنيفات النموذج الاجتماعي تعكس طبيعة هذه العلاقات، وعُدَّ الكبرياء العرقي ردة فعل على وضع الأقلية.

ويضيف ويرث Wirth عنصراً آخر إلى تعريف سترونغ في معالجته موضوع النماذج الاجتماعية وهو موقف الشخص تجاه نفسه والمجموعة. يتألف النموذج الاجتماعي، كما يرى ويرث، "من مجموعة مواقف الشخص تجاه نفسه والمجموعة، ومجموعة متماثلة من مواقف المجموعة تجاه هذا الشخص، وتحدد هذه المواقف بمجملها دور الشخص في بيئته الاجتماعية"[7].

كما تميل تفسيرات كلاب للنموذج الاجتماعي لأن تكون وظيفية بعض الشيء. وعلى كل حال وكما هو معهود في علمي الاجتماع والإنسان فإن المفهوم ذاته قد يقدم تفسيرات مختلفة وأحيانا متناقضة. ويفضل كل من عالمي الاجتماع كليك Glick وكينلوش Kinloch أن ينظرا إلى مفهوم النموذج الاجتماعي من خلال موشور

6 (أي تلك الأدوار غير المعرّفة بلغة المؤسسات الاجتماعية الكبرى بل هي معروفة في الحياة اليومية).
انظر: Strong, M. S., 1943,P. 563.In: Hoffmann , Dagmar , Merkens , Hans Hrsg., 2004, S. 163
7 Wirth, L. , 1968.P.106. In: Böhnisch , Lothar , Schroer , Wolfgang , 2002,S.146.

الصراع. ويرى كل منهما أن الأنماط الاجتماعية ليست مجرد تصنيف اجتماعي عفوي من قبل العوام، بل هي تصنيف نمطي يهدف إلى استبعاد أصناف أو أعراق معينة. ويعرف كليك النموذج الاجتماعي بأنه "أفكار اجتماعية أو ابتكار داخل المجموعة... وتحدث عادةً عملية التصنيف التي تشير إلى أن الأشخاص الذين يقومون باستجابات نموذجية معينة يتم أداؤها بأسلوب تأكيدي، تتم نمذجتهم (ربطهم بنموذج) من خلال ارتباطهم بتصنيف معين"[8]. ويقارن كينلوش بالطريقة نفسها بين مفهوم النماذج الاجتماعية والتصنيفات المختلفة (الأصلي والأسود والأفريقي) التي يطلقها البيض على غير البيض في روديسيا.

وخلافاً للباحثين آنفي الذكر يعتقد ريدينغ Reading أن النماذج الاجتماعية لا يتم تعريفها من الداخل (من قبل المجتمع) بل من الخارج (من قبل علماء الاجتماع)، فالنموذج الاجتماعي في نظره هو "وصف موجز وموضوعي لخصائص صنف من الأشخاص"[9].

وكان جورج زيميل Georg Simmel أول من أكد أهمية تحليل النموذج الاجتماعي في إطار المعرفة الاجتماعية الشاملة، ومع ذلك لم يستطع تقديم تعريف كامل لهذا المصطلح، مع أن القارئ قد يستنتج تفسيره للنموذج الاجتماعي من مقالاته التقليدية حول "الغريب"(1950) و"الفقير"(1965) و"البخيل" و"المسرف" (1971) و"النموذج المدني"(1964). وربما يبدو الأمر أن زيميل يعدُّ النموذج الاجتماعي مركباً من سمات نفسية أو شخصية أو طباع أو عقلية خاصة شكلتها قوى تركيبية(كالتجار في أوروبا كمهنة أو اليابانيون كشعب)، أو مؤسسات بشرية وأوضاع بيئية معينة (كنموذج ابن المدينة).

8 Glick, C.E. , 1955, P.241.In: Deutsche , Shell , 2002, S.211
9 Reading ,1977,P. 196

كما وصف بارك Park بالطريقة نفسها وبالأفكار والتصورات نفسها حول النماذج الاجتماعية في مقالته الشهيرة نموذج "الرجل الهامشي" إذ عدّهُ "نموذجاً للشخصية له شكل متميز من أشكال السلوك"[10].

ولكن برجيس Burgess يقدم فكرة معاكسة ويؤكد أن مصطلح النموذج الاجتماعي "لا يشير إلى آليات استجابات الشخصية بل إلى المواقف والقيم وفلسفة الحياة المستقاة من صور يقدمها المجتمع، والذي يكون النموذج الاجتماعي هو الدور الذي يتبناه الشخص والذي يوكله إليه المجتمع"، ويفترض برجيس " أنه ما دامت نماذج الشخصية تثبت في مرحلة الطفولة والطفولة المبكرة وتترسخ فهي قابلة للتعديل فقط في هذه المرحلة. وتتم عملية تعديل النموذج الاجتماعي وتكييفه في الخبرات اللاحقة، وخاصة في مرحلتي الشباب والبلوغ". ومن هنا "تغيرات الشخصية هذه هي التغيرات المفاجئة والثورية عادة في النموذج الاجتماعي وليس في الأنماط الأساسية للشخصية"[11]. ويتبنى زوربو Zo rbaugh مدخلاً مماثلاً" عَدُّ النموذج الاجتماعي مجموعة من المواقف التي تشكل نمط الشخصية" [12].

ويخصص كوزر Coser فصلاً من كتابه لمجموعة من المقالات الكلاسيكية حول النماذج الاجتماعية المختلفة واصفاً هذه النماذج بأنها "بعض السمات البارزة للأفراد الذين لهم مكانة متميزة في المجتمع وهذا ما يحفزهم لتبني نوع خاص من سلوك الدور". وفي حين يشوب تفسير كوزر للنموذج الاجتماعي شيء من الغموض لأنه لا يوضح تماماً ما هي "المكانة المتميزة "، إلا أنه يعدُّ صلة وصل بين كل من تفسيري كلاب وسيميل. ومن ناحية يعدُّ كلاب النموذج الاجتماعي صيغة سوسيولوجية لنماذج معينة من السلوك الاجتماعي؛ ومن ناحية أخرى، يرى النموذج الاجتماعي صورة

10 Park, 1928, P.881. in: , Kleemann, Frank, Matuschek , Ingo, Voß, Günter, 2003 S.312.
11 Burgess, 1968,P.193-194. In: Maihofer ; Andrea , 2002 , S. 65.
12 Zo rbaugh, 1968,P.98 , In: Griese , Hartmut M., Mansel , Jürgen , 2003, S. 23– 24.

شعبية تؤدي دوراً وظيفياً في المجتمع. وكما يرى كوزر، "ينسجم النموذج الاجتماعي مع انطباعات الحس العام حول المجتمع"[13].

وفي ضوء التعريفات المتشعبة لمفهوم النموذج الاجتماعي التي غالباً ما تكون متناقضة تماماً، وليس الأمر مدهشاً أن نرى معظم مقررات علم الاجتماع أو الإنسان التمهيدية تستبعد مصطلح النموذج الاجتماعي من معجمها، الأمر الذي يعدُّ غالباً من أعراض الوضع الحالي وعلاماته لمفهوم النموذج الاجتماعي.

وبعد الانتهاء من تصنيف هذه التعريفات المختلفة التي عُرِضَتْ يتضح أن المكانة المعرفية لمفهوم النموذج الاجتماعي قد تنقسم إلى قسمين أساسيين: أولاً، كأداة يستخدمها الجميع يومياً؛ وثانياً، كأداة تحليلية لعلماء الاجتماع. ويتطابق هذا التمييز مع تمييز بيير بورديو Pierre Bourdieu بين "الأفراد التجريبيين" و"الأفراد المعرفيين". ولأسباب علمية يميل الباحث إلى الرأي "المعرفي" للنمط الاجتماعي؛ أي تحدي فصل "جزيئات" النسيج الاجتماعي. ومع ذلك يمكن للعالم وينبغي له أن يلجأ للأفكار الشعبية أيضاً. لذلك أعرّف النموذج الاجتماعي بأنه **نموذج أولي- ملخص سوسيولوجي للسمات النموذجية لمجموعة معينة أو صنف من البشر يميزه الناس ويتخذونه كنموذج ويعطونه عادة لقباً ما**. وقد تكون هذه المجموعة أو الصنف صنفاً ثانوياً أو مجتمعاً أو مهنة أو ثقافة فرعية أو مجموعة مرموقة أو طبقة أو جيلاً يتميز بالمظهر الخاص (فيما يتعلق بالمظهر الجسمي أو الموضة أو بالأمرين معاً) ونمط المعيشة والفلسفة ونمط التفاعل (ولاسيما اللغوي) والمواقف والسمات النفسية الخاصة.

وفيما يتعلق بالتعريف المطروح ينبغي التركيز على ثلاث نقاط. **<u>النقطة الأولى</u>** وقبل كل شيء، نبحث عن أوجه تشابه ضمن المجموعة أو الصنف التي يميزها النموذج الاجتماعي، وليس عن تجانس تام. ونظراً إلى أن مواد البحث في علم

13 Coser,1974, P. 232 .

الاجتماع ليست جزيئات بل هي كائنات بشرية لا يمكن أبداً أن تكون متماثلة تماماً مع بعضها بعضاً، فإن مفهوم النموذج الاجتماعي يضم عدداً من السمات الاجتماعية السائدة المعروفة لنماذج معينة من البشر لكنه لا يحدد أو يُعَرف شخصية فريدة كاملة. وأنا لا أزعم أن من يتمثل عادات وأعراف مجموعة معينة أو يتأقلم مع صنف اجتماعي معين ليس له أمور شخصية مفضلة أو تفسيرات فردية للواقع. لكنني أؤكد أن الدمغة الاجتماعية لمجموعته أو صنفه تكون واضحة في نماذج معينة من السلوك وطرائق التفكير. فهذه النماذج السلوكية والفكرية والعلاقات القائمة بينها هي ما يجعل أعضاء المجموعة الواحدة يشبهون بعضهم بعضاً ويجري تميزهم جميعاً عن الآخرين. وبكل تأكيد ينبغي لنمط النموذج الاجتماعي هذا أن يميز غالبية أعضاء المجموعة وليس الحالات الاستثنائية أو الهامشية.

أمَّا **النقطة الثانية** التي يجب تأكيدها في التعريف المطروح فهي استخدام مصطلح "السمات النموذجية". فيجب علينا ألا نفترض أن كل فرد من أفراد الأغلبية يملك بالضرورة جميع السمات النموذجية التي يظهرها النموذج الاجتماعي الذي هو بمنزلة نموذج مثالي من أجل تحليل السمات المميزة لنموذج معين من الأفراد. وبهذا يكون النموذج الاجتماعي العينة المثالية لمجموعته الثقافية أو النموذج الأولي لسلوك بشري خاص وطرائق تفكير معينة. وكما يشير ميتشيل Mitchell فإنه يكمن

وراء مفهوم النموذج الأولي الاعتقاد بأن "الظواهر الاجتماعية، وبفضل طبيعتها المتنوعة والمرنة، يمكن تحليلها فقط بالأشكال القصوى لخصائصها التي يمكن أن نلاحظها في صفائها".[14]

فمن الممكن وصف نموذج اجتماعي معين وتحديده دون أن نجد أبداً أي كائن حي يمتلك كامل السمات النموذجية التي تميز مثال النموذج الاجتماعي، لأن النموذج

14 المشار إليه أحياناً في الأدب السوسيولوجي ككتاب ماكس فيبر "النموذج المثالي" . انظر: Mitchell,1979,P. 164

الاجتماعي هو مفهوم تحليلي ووصف مجرد نشأ عن عدد من الحالات الحقيقية من أجل أن يظهر سماتها الجوهرية العامة. وفي حين قد يكون الأمر ممكناً أن نجد فرداً قريباً جداً من الشكل التحليلي لنموذجه الاجتماعي، فإن هذا الحال لا ينطبق على الوصف النظري للنموذج الاجتماعي.

وقد تنشأ صعوبة نظرية في تحديد عدد السمات الخاصة بنموذج اجتماعي معين الواجب توافرها في الشخص ليكون ملائماً لهذا النموذج. وبعبارة أخرى، إذا امتلك الفرد بضع سمات من تلك التي يظهرها النموذج الاجتماعي فقط (كما هو الحال عادةً)، وعُدَّ مع ذلك إنسانياً وثقافياً أنه عضو في نموذجه الاجتماعي، فما هو الحد الأدنى المطلوب من السمات الذي يؤهله لدخول صنف النموذج الاجتماعي؟ فكم عدد سمات "المترف" مثلاً التي يجب على الشخص إظهارها ليتم تصنيفه "مترفاً" من قبل علماء الاجتماع أو العامة؟ فالمشكلة ليست كمية؛ قد يكون هنالك أيضاً اختلاف نوعي في أهمية السمات الفردية التي تشكل الشخصية المميزة للنموذج الاجتماعي.

ولانعدام وسائل التمييز والتمحيص الأخرى، قد يعود الجواب إلى الحدس والحس العام. كما يمكن لعلماء الاجتماع أن يطلبوا العون من الناس، الذين يصنفون ويحددون النماذج الاجتماعية (المعلمون والفنانون والصحفيون الكوميديون) بطرائق قلما تكون غير حدسية. وأحياناً أخرى قد يستخدم الناس التعريفات التي يقدمها لهم أعضاء المجموعة أنفسهم ،كما فعل سترونغ ، وذلك من أجل تحديد السمات الأساسية لأي نموذج اجتماعي مفترض. ويمكن لنا أن نقيم مقياساً يعتمد على معلومات نحصل عليها من مجموعة صغيرة أو عينة من النموذج الاجتماعي المحدد، وذلك للتعرف إلى نسبة الأشخاص الذين يمتلكون سمات ذلك النموذج. ويساعدنا مثل هذا المقياس على تحديد الأهمية النسبية لسمات مختلفة للمجموعة نفسها، ومن ثمَّ نستطيع ترتيب سمات النموذج الاجتماعي من حيث الأهمية. كما يمكن أيضاً تحديد القيم والمثاليات السائدة

للنموذج الاجتماعي من خلال الملاحظة المنتظمة للأنماط السلوكية والمقابلات المباشرة، وبذلك يمكن إيجاد مقياس لأهمية السمات اعتماداً على النتائج.

أما **النقطة الثالثة** والأخيرة التي نؤكدها فهي أن هنالك فرقاً رئيسياً بين مفهوم النموذج الاجتماعي ومفهوم النموذج الأولي. فغالباً ما يضخم التصنيف الاجتماعي أوجه التشابه والاختلاف بين المجموعات، فيشكل بهذا الأرضية للتصنيف النموذجي الأولي. وعادة ما نربط مجموعة كبيرة من الصور الشعبية (التي لا تنسجم بالضرورة مع الواقع) بالصورة العامة لنموذج اجتماعي معين. وكما يشير كلاب، "يعدُّ النموذج الأولي غالباً، إن لم نقل عادة، على أنه مفهوم شعبي صارم غير دقيق يؤدي دوراً مهماً في التحيز والمحاباة. فهو ليس منطقياً ويؤثر في المعرفة الحقيقية. ... ووفقاً للمناقشة القائمة تتساوى النماذج الاجتماعية في الواقعية مع الواقعية المحتملة لمعظم المفاهيم المستخدمة في الحياة اليومية؛ وهي مطلوبة من أجل المشاركة الفعالة في المتجمع الثانوي العصري، كما تستخدم بشكل متميز ضمن النظام من أجل زيادة علاقات المعرفة العميقة، وليس من أجل إبقاء الناس بعيداً عن المعرفة، أو وصف مجموعات خارجية بطريقة غير دقيقة".[15]

كما تقدم دراسة سميث Smith للغندور dandy [16] صورة واضحة للفجوة التي قد تتوسع بين الصورة الحقيقية للنموذج الاجتماعي والصورة العامة. ووفقاً لنتائج سميث واكتشافاته، فقد أخطأت الطبقات الوسطى في الحكم على احترام الذات الصريح لدى الغندور وعدّهُ تصرفاً مسرفاً ومتغطرساً.

وقد يهتم علماء الاجتماع كثيراً بالصورة العامة للنموذج الاجتماعي كجزء من المفهوم الثقافي، لكن يجب عليهم أن يميزوا تماماً بين الصورة العامة- التي تضم عادة عناصر نموذجية أولية- والتعميمات التحليلية.

15 Klapp, E. O. , 1958,P. 674.In: Baumann , Zygmunt, 2003, S.86.

16 (الغندور شخص شديد التأنق).

ثالثاً - مدى تطابق النموذج الاجتماعي مع مؤدي الدور

استناداً إلى بعض تعريفات النموذج الاجتماعي آنفة الذكر، يبقى الفارق بين مؤدي الدور والنموذج الاجتماعي غامضاً بعض الشيء، إذْ يعدُّ بعض علماء الاجتماع والإنسان في الواقع النماذج الاجتماعية أنها حالات خاصة لأداء الدور. وفي الواقع، فإن المفهومين متشابهان من جوانب عدة، لكنهما غير متطابقين. والفروق المميزة الثمانية الآتية بين هذين المفهومين تساعد في توضيح المعنى السوسيولوجي الدقيق لمفهوم النموذج الاجتماعي. وفي مناقشتي هذه أشير إلى أدوار متعلقة بمكانة منجزة كالمهنة أو التعليم، لا إلى مكانة منسوبة كالعرق أو الجنس.

1. الظواهر الحتمية والظواهر الناشئة:

يعرف روبرتسون Robertson الدور بأنه "مجموعة من الأنماط السلوكية المتوقعة، والحقوق والواجبات المرتبطة بوظيفة اجتماعية معينة".[17] وهذا معناه أن الدور يشير إلى السلوك المتوقع من صاحب المكانة في موقع اجتماعي معين تكون فيه قواعد السلوك والتصرف محددة ومحتومة سلفاً حتى إذا تركت فسحةً لشيء من المناورة. فالكلمة الأساسية هنا هي "متوقع": من المتوقع أن يتعلم الشخص كيفية التصرف في سياق خاص زمانياً ومكانياً. فالدور هو لذلك المنظم المنطقي أو "جزيء" من جزيئات التركيبة الاجتماعية الذي أقيم من أجل تحقيق هدف معين. كما يعتقد أن لهذه الأدوار وظيفة سوسيولوجية وأنها تعكس آلية للتبادل: فأنت تتصرف وفقاً للدور الموكل إليك لكي تحصل على النتائج الاجتماعية الحتمية لهذه التصرفات. ولاحظ أن هذا التصنيف النموذجي ينطبق فقط على الأدوار الرسمية المؤسساتية، لأن بعض الأدوار كما نعلم جميعاً، غير منطقية وغير رسمية وناشئة. ومن ناحية أخرى، فإن النماذج الاجتماعية هي بشكل رئيسي ظاهرة ناشئة أكثر مما هي ظاهرة مخططة

17 Robertson, 1987,P. 91.

مسبقاً. وعلى سبيل المثال، لا يظهر نموذج المتشرد الاجتماعي أنماطاً سلوكية مؤسساتية ولا حتى منطقية، كما ليس له أية علاقة مع التبادل الاجتماعي الحتمي أو مع التوقعات الأخلاقية. فالدور إذاً يشير أكثر ما يشير إلى التركيبة الاجتماعية، أي إلى نظام التفاعلات والتعامل في حين يشير النموذج الاجتماعي أكثر إلى الثقافة بما في ذلك المعتقدات والأفكار والخرافات والأعراف والأوضاع البيئية، الخ.

2. الزي الرسمي والموضة:

يميز علماء الاجتماع بين مصدرين من مصادر السلوك الاجتماعي (المؤسساتي والعفوي)، وكل من هذين المصدرين مأخوذ من عملية اجتماعية ثقافية لا شعورية. وينتج معظم السلوك الوظيفي عن مصادر مؤسساتية في حين ينشأ معظم سلوك النموذج الاجتماعي بشكل عفوي، إذ إنَّ رجل الأعمال، على سبيل المثال، يُتوقع أن يكون أنيقاً حليق الذقن كما يتطلب منه دوره المهني. كما يتبنى النموذج الاجتماعي بشكل لا شعوري العديد من الخصائص من خلال التشبه والتشرب لا من خلال مراعاة قوانين محددة. حيث يتم تشرب السمات النموذجية واستيعابها عبر عملية اجتماعية خفية مطولة. وفي هذا المعنى، يمكن تشبيه الدور بزي العمل الذي تعدّه منظمة لأعضائها. وعند ارتداء هذا اللباس، يقوم الشخص بتعديله وفق قياساته الشخصية بعملية عادة ما نعرفها بـ" تبني الدور". ومن هنا نجد أن أفراد المهنة الواحدة يشبهون بعضهم بعضاً لأن الزي الذي تقدمه لهم المنظمة هو ذاته. وفي المقابل، يمكن تشبيه النموذج الاجتماعي بموضة يختارها الفرد وفقاً لذوقه الشخصي الخاص متأثراً أيضاً بدائرته الاجتماعية أو ثقافته الفرعية أو أقرانه. وهكذا نرى أن هنالك تشابهاً بين الأفراد الذين ينطبق عليهم نموذج اجتماعي معين، لا بسبب أعراف مؤسساتية أمليت عليهم، بل لأنهم قد أصبحوا يفضلون الذوق والنمط نفسيهما .

3.الدائرة الاجتماعية: الضيقة والواسعة:

عادة يتصرف ممثل الدور بما ينسجم مع دوره في سياق زماني ومكاني محدد وخاص جداً: كالمعلم في الصف، والموظف في المكتب، الخ. ومن ناحية أخرى، يظهر السلوك الخاص بنموذج اجتماعي معين باطراد في مواقع اجتماعية عدة متباينة: في المنزل والمكتب والنادي. لذلك يتميز النموذج الاجتماعي عن ممثل الدور بنطاق أوسع من الأشكال السلوكية. وفضلاً عن عرض أشكال سلوكية خارجية معينة، يظهر النموذج الاجتماعي، خلافاً لممثل الدور، عالماً داخلياً وطريقة تفكير خاصة.

4. السلوك الثابت والسلوك المؤقت:

تنطبق المسؤوليات والالتزامات المرتبطة بدور ما على سياق زماني ومكاني خاص؛ وخارج إطار هذا السياق الخاص يصبح أداء الدور المحدد غير مطلوب. هذه النقلة تبدو غالباً عجيبة عندما يغير الناس سلوكهم ومشاعرهم بشكل عفوي كامل لحظة خلعهم زيهم الرسمي المهني أو إغلاقهم باب الوظيفة خلفهم. وفي الواقع، ينتقل الناس غالباً إلى دور آخر؛ وعلى سبيل المثال، من دور الموظف أو طبيب الأسنان إلى دور الوالد، وبذلك يصبح هؤلاء عبارة عن شخص مختلف كما يرى غوفمان. في المقابل لا يقوم النموذج الاجتماعي أو حتى لا يمكنه أن يقوم "بخلع زيه الرسمي" لأن سلوك الشخص النموذجي قد أصبح جزءاً من شخصيته. إذ إنَّ سلوك النموذج الاجتماعي سلوك مغروس ومطبوع بالكامل في شخصية الفرد مدى الحياة، أو على الأقل مدة طويلة من الزمن. وكالممثل المحترف، يمكن للشخص أن يترك دوره لبرهة من الزمن ثم يعود إليه فيما بعد، لكن لا أحد قادر على ترك شخصيته. هذا التمييز يركز عليه أرديتي Ardity الذي يستخدم تشبيه القناع بقوله:" ليست سمات الهامشية، والبخل، والتشرد أقنعة يمكن أن نلبسها عندما يتطلبها الموقف. فإذا كنا بخلاء أو هامشيين فإننا نتصرف وفق ذلك بغض النظر عن الدور الذي نؤديه في أية لحظة.

فالنماذج السلوكية التي تميز التشرد تغلب على سلوك المتشرد تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة اليومية".[18] فالأداء المنفصل عن الدور الذي ينقصه الحماس يدعى "البعد عن الدور" وغالباً يوجد هذا الأداء ضمن سلوك الدور وحده ولكنه لا يوجد أبداً في سلوك النموذج الاجتماعي. وفي حين يدرك علماء النفس والاجتماع وجود التطابق التام مع الدور مطلقين عليه تسمية "الهوس المهني" أو اعتناق الدور"[19]، إلا أن هذا عادة يشير إلى أداء الشخص في سياق اجتماعي معين ولا يشير إلى ظاهرة نموذجية مرتبطة بمجموعة أو صنف أو جيل أو ثقافة فرعية. فعندما يظهر على عدد من الأفراد أعراض "اعتناق الدور"، يبدأ النموذج الاجتماعي بالظهور،وبعبارة أخرى، قد يخلق الاندماج مع الدور في النهاية نموذجاً اجتماعياً. وسنناقش هذه الظاهرة، " ظاهرة نموذج الدور المهني" لاحقاً.

5. أداء العديد من الأدوار مقابل أداء نموذج اجتماعي وحيد:

ذكرنا سابقاً أن الدور غالباً ما يكون قصير الأمد، فهو مؤقت، متغير، يمكن لنا أن نتخلى عنه إلا أن الأشكال السلوكية التي تتميز بها النماذج الاجتماعية هي أكثر ثباتاً وقدرة على صياغة شخصية دائمة. من هنا يمكننا القول: إنَّ الشخص عادة ما يؤدي أدواراً متعددة إلا أنه ينتمي لنموذج أو نموذجين اجتماعيين طوال حياته، يشير أرديتي: "وفقاً لمفهوم النماذج الاجتماعية فنحن نعيش ضمن حقيقة اجتماعية واحدة وهذا يحدد إلى درجة بعيدة ماهيتنا"[20].

6. السمات الشخصية المهمة وأخرى غير المهمة:

تختلف مفاهيم الدور والنموذج الاجتماعي أيضاً كل عن الآخر في عدد من السمات الشخصية التي تتعلق بكل من هذه المفاهيم. يرتبط النموذج الاجتماعي بعدد

18 Ardity, 1987, P. 571.
19 Goffman, 1961, P. 106
20 Ardity, 1987, P.572

أكثر أهمية من السمات. فعلى سبيل المثال، إذا كان تصورك الذهني لسائق التاكسي في نيويورك أنه شخص ليس له هوية أو أية صفات أخرى سوى أنه سائق فأنت بصدد الدور الذي يقوم به السائق، أمَّا إذا ربطت تلك الصورة بعدد من السمات النموذجية كاللهجة والكلام واللباس فنحن هنا بصدد نموذج اجتماعي.

7. السلوك الذي تشكله الشخصية الكاريزمية و السلوك الذي تشكله المؤسسات الاجتماعية:

السلوك الوظيفي، أو على الأقل السلوك الوظيفي الرسمي، غالباً ما تخلقه أو تمليه المنظمات والمؤسسات الاجتماعية، في حين يميل سلوك النموذج الاجتماعي عادة للظهور والتشكل عبر شخصية كاريزمية أو مجموعة أولية مثالية كما يشير كلاب: "بينما تتوزع أدوار عديدة على نطاق واسع من غير أن تنتمي أو تعود للأشخاص الذين يؤدونها بشكل متميز، يصبح بعض هذه الأدوار مرتبطاً بالمفهوم بشخص ما. في هذه المرحلة يمكننا القول: إنَّ إجماع الأدوار قد تطور إلى نموذج اجتماعي"[21]. أحد الأمثلة الجديرة بالذكر هي حالة الغندور الناتجة عن الشخصية الفريدة لجورج "بو" براميل George "Beau" Brummel الذي وضع نموذجاً اجتماعياً للطبقات العليا في أوربا في القرن التاسع عشر، وأدّى دور النواة الثقافية إلى نموذج اجتماعي جديد. ويصفه سميث بأنه "ممثل متعدد المواهب، وشخصية متنوعة تشكلت بجمع المشاهد المسرحية الأساسية وديناميكيتها في مقطع عرضي واحد[22].

8. الشخصية الطبيعية والشخصية الأخلاقية:

تميل الأدوار لاستخدام معايير لا شخصية للأداء كالفعالية والإنجاز والإنتاجية. فقد يقوم الشخص بتقييم سلبي لأداء شخص آخر، لكن هذا لن يغير بالضرورة موقفه

21 Klapp, 1958, P. 674 .In: Buckingham , David u.a, 2003,S.198.
22 Smith 1974,P. 727

المعياري العام تجاه دور معين. فكرهك مدرساً معيناً مثلاً لا يؤدي عادة إلى كره مهنة التعليم ، لأنه من السهل هنا أن نفصل بين المدرس ودوره. لكن النموذج الاجتماعي - كما يفهمه العامة بأنه انعكاس للشخصية - يميل للتقييم بطريقة شخصية أكثر، وغالباً ما يحتوي على عناصر نموذجية أولية ويرتكز على نطاق واسع من المعايير الأخلاقية. ويميل العامة أيضاً إلى ربط التقييم الأخلاقي بنماذج اجتماعية معروفة و أعضاء جماعات النخبة الوطنية. كما أشار كلاب إلى أن " العديد من النماذج الاجتماعية توحي بالبطولة أو النذالة أو الغباء، وأن معاملة الشخص المصنف تحت أحد النماذج الاجتماعية تتم وفقاً لإيحاءات هذه النماذج".[23]

رابعاً - مصادر (آليات) ظهور النماذج الاجتماعية الممكنة

من المثير للاهتمام أن نتساءل في دراسة النماذج الاجتماعية عن المصادر (الآليات) التي تصوغ هذه النماذج. وأفترض أن هذه النماذج الاجتماعية تنشأ عن طريق أربعة مصادر أو آليات: مهنية، نفسية(سمات فطرية)، ثقافية/ ثقافية فرعية، وخرافية. وعرف كلّ من هذه المصادر أو الآليات نموذجاً اجتماعياً مختلفاً قليلاً.

1. نموذج الدور المهني:

يشكل نموذج الدور المهني المصدر الأول في تشكيل النموذج الاجتماعي، ويتميز "نموذج الدور المهني" بتقمص دور مهني معين بحيث يتم أداء الدور لا في سياق التعامل مع شريك الدور فحسب بل أيضاً على وجه العموم بما في ذلك الحياة الخاصة. فقد يظهر نموذج الدور المهني عندما "تخترق" - إذا صح التعبير - نماذج الدور "مجرى الدم" لتصبح جزءاً من الشخصية، هذه الظاهرة يصنفها غوفمان بأنها "اعتناق الدور".[24] وعرف تورنر Turner أيضاً هذه الظاهرة وحددها بأنها "الاندماج

23 Klapp 1958, P. 676 .In: Buckingham , David u.a, 2003,S.211
24 Goffman 1961, P. 106

ما بين الشخص والدور". كما كتب أنه:" عندما يندمج الشخص اندماجاً قوياً مع الدور يكون للطابع الاجتماعي لهذا الدور آثار ونتائج عامة في تكوين الشخصية"، لذلك غالباً ما ينطبق دور النموذج المهني على الأفراد الذين لا يعترفون تماماً بعوالمهم الاجتماعية المختلفة والذين لم يفصلوا هويتهم الفردية عن هويتهم الاجتماعية أو الذين" لم يتمكنوا من فصل الدور عن شخصيتهم" على حد تعبير تورنر الذي يصوغ ثلاثة معايير لتحديد الاندماج ما بين الشخص والدور، وهذه المعايير الثلاثة يمكن استخدامها لتحديد نماذج الدور المهني:1) الموضوع يستمر في أداء الدور في مواقف لا يكون الدور فيها قابلاً للتطبيق؛ 2) الموضوع يقاوم التخلي عن الدور على الرغم من توافر أدوار أخرى مفيدة وملائمة وقابلة للتطبيق؛ 3) الموضوع يحافظ على المواقف والمعتقدات المناسبة للدور، ولكن قد تكون خارج السياق.[25]

العديد من نماذج الدور المهني خلدها التلفاز والسينما كالرقيب الذي يعامل أولاده كما لو أنهم جنود أو المدير الذي يصحح الأخطاء النحوية لأصدقائه كما لو أنهم طلبة، فنحن عادة ما نميز نماذج كهذه بالسلوك الخارج عن السياق والمألوف. والمهن التي تتطلب انغماساً تاماً تنتج هذا النموذج الاجتماعي ومن ثمَّ يظهر نموذج اجتماعي حين يظهر مجتمع مهني. ويمكن وصف المهن وتحليلها ولاسيما المهن غير الرسمية، وذلك بتحليل نموذج الدور المهني الخاص بكل منها. واستخدم هذه التقانة السوسيولوجية سوذرلاند Sutherland الذي قاد قراءة إلى عالم اللص بوصف حي صريح لشخص انشغل على الدوام تقريباً أكثر من عشرين سنة في تلك المهنة.[26]

يفترض أن التضخم السريع للتكاليف المهنية (الوقت والطاقة) بالتزامن مع منافسة شديدة على الأعمال المهنية ولاسيما مجالات الوظائف التي تتطلب الأناقة (كالأعمال المكتبية والعلمية) قد أحدث زيادة في عدد نماذج الدور المهني للمجتمع الحديث.

25 Turner, 1978, P.1
26 Sutherland, 1963 , In: Grundmann , Matthias , 2002 , S. 37.

ويستخدم وايت Whyte مصطلح" رجل المنظمات "لوصف هذه النماذج الحديثة التي نشأت عن التكريس التام الذي تتوقعه المهن المعاصرة. ويرى وايت أن نماذج الدور هذه هي نماذج طبقتنا الوسطى التي غادرت البيت ، روحياً ومادياً، لتعيش حياة المنظمة[27].

ونماذج الدور المهني هي من جوانب عدة عبارة عن انعكاس لتركيبة اجتماعية معينة و نظام قيم خاص، وبهذا يمكننا أن نعدّها الطابع الثقافي لمجتمعها. يعلق ألسر بيلاه Alser Bellah أن أحد المتغيرات التي تميز الثقافات هي درجة تحول حاملي الأدوار الاجتماعية إلى نماذج اجتماعية . فالثقافة البريطانية في العصر الفيكتوري كما يرى ألسر تصبح متطابقة في الذاكرة الجماعية بشكل رئيسي مع صور للمدير والمستكشف والمهندس. من ناحية أخرى، الثقافة الألمانية من وجهة نظر (فيلهلم) تشخصها نماذج الموظف البروسي والبروفسور والديمقراطي الاجتماعي[28].

فيمكن للسلوك النموذجي للدور الاجتماعي أن ينشأ لا عن طريق السمات النفسية والثقافية التي تنشأ عن القوى المحركة لروتين العمل اليومي فحسب، بل أيضاً عن طريق صفات فطرية لها الدور الأول في تحفيز الشخص لاختيار مهنة ما أو أخرى. الراهبة هي حالة وثيقة الصلة بهذا الموضوع، وللأسباب نفسها يمكن أن يتصرف أعضاء المهنة نفسها ويفكرون بطريقة متشابهة، وهكذا يشكلون نموذجاً لدور مهني، لأن رب العمل أو الجامعة قد اختارتهم على أساس الأوراق الثبوتية والإمكانيات المهنية. فعلى سبيل المثال، طيارو الطائرات النفاثة قد يشبه أحدهم الآخر ويشكلون نموذج دور مهني للسببين الآتيين: أولاً هؤلاء الذين يفكرون بمهنة الطيار هم عادةً أشخاص محفَّزون وشباب يتمتعون باحترام عالٍ للذات ويملكون مهارات معينة، وثانياً الطيارون لهم شخصية صيغت بشكل يلبي متطلبات معينة لمنظمة الطيران، وبكل

27 Whyte 1957,P. 3 , In Reinders , Heinz ,2003, S.13.
28 Bellah et al, 1985,P. 38.

تأكيد، ليس من السهل أن نميز العامل المهيمن في تشكيل الشخصية النموذجية للدور المهني، ففي معظم الأحوال، تؤدي كل من الخصائص الحتمية المرتبطة بالاختيار التنظيمي والطبيعي والخصائص المحددة لاحقاً، والتي تنتج عن بوتقة خبرة الدور، دوراً في تشكيل نموذج الدور المهني.

ولا تنشأ نماذج الدور المهني عن طريق خبرة الدور الرسمية وحدها بل أيضاً عن طريق الخبرة غير الرسمية. فشكلياً ،سائق الشاحنة النموذجي يمكن أن نتوقع منه فقط أن يسلم حمولته، مع ذلك فإن سفراته الطويلة ولقاءاته مع أمثاله من السائقين في محطات الشاحنات على طول الطريق يمكن أن يحوله أخيراً إلى نموذج دور مهني.

2.نموذج الشخصية:

يمكن أن نجد المصدر الثاني لتشكل النموذج الاجتماعي في السمات الفطرية والميول التي تشكل شخصية نموذجية. ويتصف نموذج الشخصية بسمة نفسية سائدة أو عدد من السمات التي تغطي كل السمات الأخرى وتنعكس على تفكير الشخص وسلوكه اليومي.

فالحاجة الاجتماعية لتصنيف الناس وفقاً للشخص والشخصية هي شيء شمولي ويمكن أن يوجد في كتابات قدماء الإغريق والعلماء الصينيين. فكل عصر تاريخي صاغ نماذجه البشرية الخاصة محفزاً بقيمه وإدراكاته. وقد أنتج الدافع لتصنيف الناس على أساس الشخصية عدة محاولات لاكتشاف العوامل التي تنتج طباعاً مختلفة، ولتحديد علامات نماذج الشخصية المختلفة. فالإغريق، على سبيل المثال، كانوا يتأملون كيف أن توازن السوائل في الجسم البشري يؤثر في الطبيعة البشرية، كما افترض الصينيون أن الطاقة هي أحد العوامل التي تشكل الطباع، ولوقت طويل كان الجسم البشري يعتقد أنَّه المصدر الأساسي للسلوك البشري، ويمكن أن نجد محاولات عديدة للربط بين الخواص الجسمية والنفسية- ومعظمها مرَضيّ- في تاريخ علم

النفس. ومن أشهر هذه المحاولات نذكر نظريتين هما نظرية(فراسة الرأس) التي طرحها فرانز جوزيف غول Frantz Josef Gall وكاسزير لومبروزو Cesare Lombroso (1835-1909) و(النظريات الدستورية) لكريشمر Kretschmer (1898-1964) وشيلدون Sheldon (1898-1970).

وحتى ظهور علم النفس الحديث كان تصنيف الناس بدائياً على أساس العادات أي على أساس الفضائل الأخلاقية (الشر والشجاعة واللطف الخ)، أو حسب الشخصية (صبي، ثرثار، كئيب، الخ)، أمَّا في عصر علم النفس الحديث فقد بدأ تصنيف الناس وفقاً للنماذج النفسية الدائمة والشخصيات.

في أوروبا كانت مناقشة النماذج الاجتماعية تقتصر على الجدل التقليدي بين البيئة والوراثة، حيث نقل فرويد Freud ومن بعده يونغ Jung التركيز من الوراثة إلى خبرة الطفولة، فعلم النفس الحديث أدخل أنواعاً مختلفة ،لا يزال بعضها موضع جدل، لاختبارات الاختيار والتصنيف لتحل محل الطرائق الحدسية، كما أحيت البحوث العصبية الحديثة الرابطة الجسمية النفسية القديمة. وهذه الدراسات على الرغم من أنها لمست طرفاً من أطراف الموضوع فقط فيما يتعلق بالرابطة ما بين الجسم والروح، إلا أنها فتحت آفاقاً جديدة للتصنيف النفسي. وتنشأ الشخصية من مصادر ثلاثة:

أ- **المصدر الداخلي**: يتألف المصدر الأول لنماذج الشخصية من دوافع و حوافز نفسية أمَّا فطرية

أو تشكلت عبر المراحل الأولى من تطور الشخصية، ومعظم التحليلات العلمية لنموذج الشخصية هذا لم يقم بها علماء الاجتماع بل بالأحرى علماء نفس من مدارس مختلفة وتوجهات أكاديمية، فالأدب النظري الواسع في ميدان تطور الشخصية وتمايزها يقع خارج نطاق هذا البحث. ومعظم تصنيفات الشخصية النفسية الشهيرة كالتمييز الفرويدي للنموذج المتسامي والنموذج المتفاعل والتمييز اليونغي بين

الانبساطي والانطوائي. وفي حين أن معظم علماء النفس يقومون بدراسة عملية تكون الشخصية بشكل عام لكن القليل منهم يقوم بدراسة نماذج اجتماعية معينة. أحد الأمثلة هو تحليل نورمان ديكسن Norman Dixon للقائد العسكري غير الكفء الذي أنجبته أمّ مصابة بالهوس. نموذج الشخصية الشمولية هذا يقود الجيوش إلى نكبات متشابهة،و ديكسن كعلماء النفس الآخرين يرى أن الشخصية هي نتيجة للمحاولة البشرية لحل صراعات داخلية. في حين أن أتباع فرويد يرون أن الفرد يتميز بآليات وقاية نفسية معينة تشكل شخصيته. فعلى سبيل المثال، الميل نحو لوم الذات يؤدي إلى شخصية كئيبة.

ب- **القوى المحركة الخارجية**: ظهور نموذج الشخصية هو في الغالب نتاج قوى محركة خارجية

كالتركيبة الوظيفية لمجموعة، أو تقسيم العمل ضمن هذه المجموعة، أو آليات التصنيف لمجموعة، فالقائد والعقل المحرك والمهرج والمتعالي نماذج شخصيات تميز العديد من الجماعات، وأحد الأمثلة الجديرة بالذكر للقوى المحركة الاجتماعية بين الحاجات الاجتماعية للمجموعة وظهور نموذج الشخصية يمكن أن نجده في تحليل كلاب لشخصية الأحمق: "إيجاد الأحمق هي عملية اجتماعية مستمرة فالقول صحيح أن كل مجموعة يجب أن تحتوي شخصية حمقاء"[29]، والمنظور الوظيفي نفسه فيما يتعلق بظهور نموذج الشخصية يقدمه هوير Hoerr في تحليله لوظيفة المهرج[30]. من هذا المنظور نرى أن دراسة نماذج الشخصية تقع في نطاق علم الاجتماع أكثر مما تقع في نطاق علم النفس.

ج - روح العصر: روح العصر، أو المناخ الثقافي لعصر أو جيل معين، يمكن أن يكون مصدراً لظهور نموذج الشخصية. فالوسائل التكنولوجية للإنتاج والتواصل،

29 Klapp, 1949,P. 157 . In : Bauer , Ullrich , 2002, S. 86
30 Hoerr, 1945 , P. 87. In : Scherr , Albert ,2003, S. 49

ومستوى المعيشة، كل من هذه العوامل يخلق، أو بالأحرى يثبت، شخصية نموذجية تستجيب لهذه العوامل وتتكيف معها، وتحليل سيميل Simmel لنموذج شخصية العاصمة(مخلوق ذو بيئة مدنية واقتصاد مالي)، فضلاً عن تحليل أندرسون Anderson (1923) للمتشرد ،وتحليل زوربو Zorbaugh للقاطن في غرف مجهزة بالأثاث (النموذج المدني)، كل من هؤلاء يحاول فهم نماذج شخصية معينة من خلال وسطها الثقافي والبيئي، فالعامل المصاب بهوس العمل والمفرط في الطموح يمكن أن يعدُّ نموذجاً لشخصية جديدة ولدتها المرحلة ما بعد الصناعية[31].

يمكن أيضاً للأجواء السياسية الجديدة أو المتغيرات التي تطرأ على نظام الطبقات الاجتماعية (سواء كانت ثورية أو تطورية) أن تنتج نماذج للشخصية، كشخصية حديث الثراء أو المتمرد لكاموس Camus والمهتدي سنو Snow وماشليك Machaleck والشهيد لوينر ووينر.

وهنا ينبغي أن نلاحظ عدم وجود حد فاصل واضح بين نماذج الدور المهني والنفسي. فنموذج شخصية القائد الكاريزمي مثلاً يمكن تصنيفها تحت أي صنف اعتماداً على رأي الشخص هل القائد هو الذي يصنع المجتمع أم العكس، وبالطريقة نفسها يمكن تصنيف نماذج المليونير المسرف والأستاذ شارد الذهن والأحمق والمخادع أمَّا بوساطة أدوارهم أو بوساطة السمات الشخصية اعتماداً على طريقة النظر إلى علاقة السبب والنتيجة بين النفسية والسلوك.

ووصف نموذج الشخصية مسألة شمولية لأننا نرى الصيغ السلوكية في أماكن مختلفة في ثقافات مختلفة وأحياناً خلال عصور مختلفة. فالمهرج والقائد الأخلاقي والأناني والمسعور والخبيث، الخ كلهم يمكن تصنيفهم كنماذج للشخصية. في الواقع إن العديد من نماذج الشخصية تم وصفها في الأعمال النثرية والمسرحية والكوميديا،

31 Kanter, 1977; Schaef, 1988.

فشمولية شخصية "الغريب" للكاتب ألبير كامو Al bert Camus أو "البخيل" لمولبير Moliere (هارباغونHarpagon) كنماذج أثبتتها حقيقة أن هذه الأعمال قد اكتسبت شعبية مستمرة في ثقافات مختلفة وعصور متعددة .

وكما أشرنا سابقاً ليست عملية تصنيف الناس إلى نماذج مختلفة للشخصية مجرد مهنة احترافية للعلماء بل هي عمل شائع جداً بين العامة أيضاً. وينتج التصنيف العفوي عن ميلنا الطبيعي لتصنيف العالم إلى ظواهر نموذجية من أجل فهمها، وعن حاجتنا العملية لاكتساب انطباع عام منطقي وسريع لأحد المعارف الجدد، حيث يستخدم الناس طريقتين لفهم شخصية الآخر: الأولى عن طريق تشكيل مجموعات من السلوكيات المتشابهة هاميلتون وآخرون Hamilton، والثانية عن طريق البحث عن روابط طبيعية بين السلوك والسمات برينتس Prentic، باركPark. وبذلك يقوم الناس في الواقع بإنشاء نظريات ضمنية للشخصية تقودهم إلى اكتساب انطباعات معقدة عن الآخرين وتطويرها. كما توجد ضمن الثقافة الواحدة مشاطرة واسعة للنماذج العامة للنظريات الضمنية للشخصية، لكن قد يقوم الفرد باستنتاجات خاصة للسمات اعتماداً على الخبرة الشخصية.[32]

ويجب أن نلاحظ هنا أيضاً أن الناس من الثقافات كافة يربطون بشكل متميز وعرضي بين الشخص والسلوك، وأن الخصائص الشخصية التي تشدد عليها الثقافات المختلفة تتباين فيما بينها، من هنا نجد غالباً أن تصنيف الشخصيات يتنوع اعتماداً على الثقافة،وفي تحليل نماذج الشخصية يجب على العالم أن يأخذ بالحسبان هذا التحيز الطبيعي.

3. النموذج الثقافي/ النموذج الثقافي الفرعي:

النموذج الاجتماعي الثالث هو نموذج يكون فيه السلوك السائد متطابقاً مع ثقافة الفرد أو ثقافته الفرعية. وفي حين يتطلب نموذج الدور المهني اندماجاً مع المهنة

32 Smith and Z'arate, 1992 .

(ولاسيما أثناء السلوك الاجتماعي الرسمي والتوقعات المهنية)، يمثل النموذج الثقافي اندماجاً (ولاسيما عبر التراث والفن الشعبي والسلوكيات اللاشعورية واللارسمية). ويمكننا أن نعدّ النموذج الثقافي نموذجاً أولياً لثقافة ما تعكس سماته ، هذا النموذج الثقافي هو النموذج الأكثر إثارة في مجال دراسة علم الإنسان من بين النماذج الاجتماعية الثلاثة التي ذكرناها حتى الآن، لأننا عن طريق فتح نافذة صغيرة على عالم النموذج الثقافي، يمكننا أن نطل على ظواهر ثقافية ذات أهمية معنوية،وما شخصيات الغندور والبروتستانتي الأبيض والأنجلوسكسوني الأمريكي والوجودي والسيد الريفي الإنكليزي والغجري والمزارع الفرنسي والشيخ العربي إلا بضعة أمثلة على النماذج الثقافية المختلفة التي تجعل عالمنا متعدد الألوان والأطياف.

وعبر العصور وُصف العديد من النماذج الثقافية المختلفة كأبطال لروايات ومسرحيات. تلقي سماتهم وقيمهم النموذجية الضوء بشكل مباشر وغير مباشر على روح العصر الثقافي لجيلهم أو عصرهم. ويمكن أن نغزو اطلاعنا على الأنسجة المعيارية المتعددة في النسيج الثقافي لروسيا القيصرية إلى حد بعيد بلا شك إلى روائع ليو تولستوي Leo Tolstoy وفيدور دوستويفسكي Fyodor Dostoyevsky وإيفان تورغنيف Ivan Torgnev ونقولاي غوغول Nikolai Gogol وغيرهم من الكتاب الروس لأنهم وصفوا النماذج الثقافية المتعددة لتلك المرحلة الزمنية. وينطبق الحديث نفسه على وليام فولكنر William Faulkner وفيكتور هوغو Victor Hugo وكابرييل كارسي ماركيز Gabriel Garci'a Ma'rquez وجيروم ك. جيروم Jerome K. Jerome وجون شتاينبك John Steinbeck وكتاب آخرين قدموا وثائق وصفية للأعراق البشرية بفضل نظرتهم الاجتماعية الثاقبة. وفي هذه النقطة هنالك تقاطع واتصال على ما يبدو بين الأدب وعلم الإنسان، فمن خلال أبطالهم يحلل الكتاب لاشعورياً الخصائص النموذجية للنماذج الثقافية. فالبصيرة الاجتماعية الطبيعية لدامون رنيون Damon Runyon أو روما في رولاند Rolland مثلاً استطاعت بلباقة إدراك التفاصيل والفروق الدقيقة في النماذج

الثقافية المميزة لزمانهم بحيث إنَّ وصفهم الصادق لعالمهم يبدو أنه ينافس جميع البحوث الاجتماعية الوصفية العرقية المنتظمة في هذا الموضوع.

كما أن علماء النفس الآخرين الذين أسهموا في تحليل النماذج الثقافية هم أشخاص يعملون في صناعة السينما، وهم بشكل رئيسي مخرجو أفلام وممثلون موهوبون، كما قدم عالم السينما والتلفاز (عالم الخيال) دفعة قوية للأعمال الوثائقية والتفسيرية الثقافية للنماذج الثقافية الحقيقية المختلفة. فيشير المصطلح المهني "تشخيص النموذج" المستخدم في عالم التلفاز والمسرح والسينما إلى أن ممثلين أحياء (أشخاص أحياء من دم ولحم) يجسدون أو يطلب منهم أن يجسدوا الخصائص النظرية لنموذج اجتماعي معين، فلا تضع وسائل الإعلام إذاً النموذج الشعبي فحسب بل تعكس أيضاً الواقع الثقافي القائم، ويقدم المخرجون والممثلون والكتاب من خلال أعمالهم ثروة من الصور الثقافية ومصدراً كبيراً للحس المعرفي الاجتماعي. وتشكل صور آرشي بانكر Archie Bunker ، الشخص المحافظ والجاهل من الطبقة الوسطى الدنيا؛ وزوربا اليوناني Zorba ؛ ساكن الجزيرة اليوناني النموذجي، إسهام الإعلام الأكبر في الإدراك الاجتماعي للنماذج الثقافية. وفي الواقع لن يكون بعيداً أن نفترض اليوم أن المرء باستطاعته أن يلاحظ رياح التحول الثقافي من خلال النماذج الثقافية الجديدة التي تظهر على الشاشة.

وتاريخياً يمكن القول: إنَّ ظهور النماذج الثقافية المختلفة واختفاءها قد يدل على نزعة ثقافية في الأعراف والتقاليد الشعبية سومنر Sumner . فنموذج المترف (الشاب المتعلم والمهني المتحضر والمتطور من الطبقة الوسطى) هو نموذج ثقافي معاصر نشأ عن المنطلق المعياري لمجتمع مفرط في الحداثة ليونز Lyons ، سافليز Savells . كما يقدم سعد الدين إبراهيم أمثلة مفيدة عن النماذج الثقافية كدليل على التحول الثقافي للنماذج الاجتماعية العربية المعاصرة وشرح الجوانب الكبرى للديناميكية الاجتماعية الجديدة المنتشرة في الوطن العربي[33].

33 Sa'd al-Din, I. , 1982 , P.60-65.

وقد يدعو أيضاً ظهور النماذج الثقافية واختفاؤها إلى نظرة وظيفية فيما يتعلق بأسباب هذه العملية التي يمكن عدُّها ثورية. ووفقاً لافتراض لينتون فإن كل مرحلة تخلق سمات وظيفية جديدة لدى الناس: " إنه ... من الضروري جداً ليقوم المجتمع بوظيفته أن تكون شخصيات أعضائه متكيفة سطحياً على الأقل مع أوضاعهم. فكل مجتمع يفضّل مجموعات معينة من الخصائص ويتفاعل معها عندما تظهر على أفراد يشغلون مراكز معينة، ويحاول أيضاً أن يطور هذه الخصائص في كل الأفراد الذين يمكن أن يكونوا في تلك المراكز، وبتعبير آخر، لكل مجتمع سلسلة من الشخصيات المثالية التي تستجيب للمراكز المختلفة". 38 ويتخذ كلاب مدخلاً وظيفياً مشابهاً عندما يُصرح قائلا:" لعله من المتوقع أن توجد النماذج الاجتماعية الأكثر أهمية في أي مجتمع نتيجة إعجابه المفرط بالبطل"[34].

كما تكونت ظاهرة مشوقة نتيجة الانتقال الثقافي السريع ضمن المجتمع ما بعد الصناعي و تنامي دور النمط و الموضة ورموز الهوية في المدن الكبرى. والظهور السريع لأشكال عديدة للثقافة الشبابية، ضمن الطبقة العاملة والطبقة الوسطى وأيضاً ضمن مجتمع الطلبة. هذه الأشكال جسدتها نماذج كالوجودي (الرافض للمعايير الاجتماعية)، والطالب والعسكري والمترف (الشاب المتحضر المهني الطموح) والنكد والسكير والأقرع ومشاغبي الكرة، الخ. لذلك يجب أن يكون إدراك الأشكال الجديدة لثقافة الشباب ذا أهمية بالغة في الجهود الرامية لاكتشاف نماذج ثقافية جديدة، هذه العلاقة بين نشأة ثقافات شبابية جديدة وتشكل أنماط ثقافية جعلت الدراسة الإنسانية لثقافة الشباب ميداناً مهماً من أجل دراسة النماذج الثقافية وتحليلها .

4 . النموذج الخيالي:

الخيال هو المصدر الرابع للنماذج الاجتماعية حيث يتضمن النموذج الخيالي الجديد أفراداً تشكلت شخصيتهم عن طريق التشبه بشخصية خيالية ما ابتدعتها مخيلة

34 Linton ,1936, P. 476 . In: Popp , Ulrike , 2002 , S. 898

الكتاب أو المخرجين، أو عن طريق تقليد أبطال الوطن كالمشاهير وأعلام الفن والرياضة والعسكريين. النماذج المتشبه بها هي بمنزلة مجموعات مرجعية: "فتيات السحر في هوليود"، (آلهة الجنس)، كماجيك جونسون Magic Johnson وهامفري بوغارت Humphrey Bogart و مادونا Madonna ومايكل جاكسونMichael Jackson، الخ، هذه النماذج تصبح مرغوباً فيها عبر قنوات التأثير الجماعية (الكتب والمجلات والتلفاز والسينما والمسرح). وقد تخترق هذه النماذج التي تشكل مصدراً مستمراً لجذب الذات الجماعية وفتنتها بشكل بطيء لتخضع لعملية تجسيد، وتصبح أخيراً نماذج اجتماعية حية وحقيقية. يقدم جاك ويستون Jack Weston سرداً للأبطال الأمريكيين في هذا القرن الذين يمكن عدُّهم نماذج خيالية شكلها تفاعل الحقيقة مع الخيال: "المستكشف الحدودي، أو رجل الجبال، أو المستعمر الأول، أو عبقري التجارة الذي يتحول من الفقر إلى الثراء، أو الجاسوس السري القوي، أو الجندي في الجيش الأمريكي، أو رجل العصابات، أو محرر الصحف الشجاع، أو النجم السينمائي، أو الشاعر الفيلسوف الملتزم، أو مغترب الجيل الضائع الذي أضناه العالم، أو المراهق المتأمل الذي يسيء الجميع فهمه، أو السياسي الشعبي، أو المنافس على الجائزة، أو لاعب البيسبول في الفريق الأول، أو الممرضة الخيرة"[35].

وقد أحدث الإعجاب المفرط بالمشاهير والنماذج الاجتماعية السائدة الأخرى، التي زادت وسائل الإعلام من شهرتها و بروزها، نماذج اجتماعية حقيقية يصاغ فيها السلوك على طريقة هؤلاء النجوم ونمطهم . فقد تحول هؤلاء إلى مصممين ثقافيين لهم تأثير بالغ في سلوك الناس. وقد نما في الواقع وتعاظم دور التشبه بالمشاهير بمساعدة آلة صناعية معقدة وثرية إلى درجة استخدام هذا التأثير اليوم كعامل تغيير في الصياغة الحقيقية للنموذج الاجتماعي. وكما يقول كلاب:" يمكن تصنيف شاب اليوم بأنه متابع للمشاهير ومترقب لهم بالفطرة، فقد تربى على محبة النجوم لأنه يُسمر

35 Weston ,1985, P. 17 .

أمام التلفاز الذي كان ويظل جليسه. فهو ربما يكون مجرد مدمن على وسائل الاتصال الإعلامية، عين له على التلفاز و أذن له على الراديو إن أمكن "[36]. وفضلاً عن ذلك، ولأن صناعة النموذج الخيالي لها قوة تجارية كامنة هائلة، فإن تقليد النموذج أيضاً يتم نشره من خلال نشاطات تجارية. ووفقاً لما يقوله كلاب: "بعد أن تصبح الحاجة ماسة لنماذج اجتماعية معينة (ربما لأن قائداً رمزياً ما قد أسس لها) يقوم الناس بالترتيبات الاقتصادية لتقديمها عندما يتطلبها الموقف أو لتسهيل ظهور التقليد... وعندما أصبح البتنيكي beatnik حديث العهد، قام عمال المسرح في نيويورك بتجنيد بتنيكيين مهنيين لتستأجرهم المضيفات في الحفلات"[37].

كما تؤدي عملية صياغة النموذج دوراً مهماً في تحويل السلوك العفوي إلى ممارسة وتقليد ثابتين، وفي ربط خيال الفنان بالواقع الاجتماعي، ولمّا كان هذا الخيال هو دائماً حالة يعالج فيها الدماغ المعلومات التي جمعها من الخبرات اليومية، فإن النماذج الاجتماعية الناتجة ليست مجرد ثمرة عرضية لهذا الخيال بل هي أيضاً في النهاية انعكاس لروح العصر الذي يعيش فيه الفنان ويتأثر به.

والمشاهير بطبيعة الحال لا يظهرون من فراغ، لأنهم ثمرة أرضهم الثقافية الخصبة من خلال عملية يصفها سميث وصفاً جيداً بقوله:" النجم أو العلم هو غالباً نموذجاً يطلبه جمهور ما ولا يمكن تفسير شهرته بأنها استجابة هذا الجمهور التلقائية لإنجازات شخصية، فهؤلاء المشاهير ليسوا عصاميين حيث يقوم الجمهور بانتقاء نموذج من بين النماذج الشخصية المتوافرة، فيعبر بهذا الانتقاء عن تعاطفه وتأييده، فتصبح النماذج بدورها وسيلة للذوق وتصفية للنمط وتوضيحاً للقيم الشخصية"[38].

---

36 Klapp, 1964, P. 14 .

37 البتنيكي هو فرد رفض أعراف المجتمع ومبادئه وكان له نمط خاص في الملبس غير الأنيق والشعر الطويل، وهو نموذج ظهر في الخمسينيات من القرن العشرين) . انظر: Klapp, 1964,P. 60.

38 Smith, 1974, P. 739

أحد الأمثلة هي راعي البقر الأمريكي الذي أنتج صورته الخيالية مثاليو الثـورة الأمريكية ويستون Weston . كما حوّل الاستهلاك الهائل للكتب والأفلام الغربية الصور الخيالية إلى مجموعات مرجعية، فبدأ الناس بالتصرف كما فعل أبطال الخيال فأصبحوا في النهاية رعاة بقر حقيقيين. وكتب ويستون الذي درس التفاعل بين الجوانب المتعددة لراعي البقر الخيالي في وسائل الإعلام وراعي البقر التاريخي:" على الرغم من كـل شيء نحن نستجيب لرعاة البقر ونرغب أن نكون مثلهم لأنهم يروقون لنا. وبتعبير آخر، لن يكون هؤلاء أبطالاً، وربما كان البطل الخيالي التاريخي الأكثر أهمية هو الذي نملكه، فقد قدمنا العون في تكوينهم وأصبحنا مثلهم إلى حد ما"[39].

خامساً - خطوات تحليل النموذج الاجتماعي

الصعوبة الرئيسية في تحليل النموذج الاجتماعي هي عدم وجود منهج تجريبـي فاعل في هذا المجال. وأنا لا أقترح تقديم حل لهذه المشكلة بل مجرد عرض لخمـس خطوات أساسية لتحليل النموذج الاجتماعي:

1. ملاحظة النموذج الاجتماعي:

على الباحث أن يكون مقتنعاً أن تصنيف النموذج الاجتماعي ليس شـيئاً وهميـاً، وأن المجموعة أو الصنف شيء موجود على أرض الواقع، وعلى الباحث ألا ينخـدع بالملاحظة الذاتية الناتجة عن انطباعات أولية سطحية وهو يحمل في ذهنـه الفكـرة الخطأ أن " كل الصينيين يشبهون بعضهم بعضاً"، لذا يجب التحذير هنا من التعميمات الخطأ عند دراسة موضوع إدراك النموذج الاجتماعي فـي المجتمعـات الأجنبيـة. وحسب ما يقوله لينتون Linton :" الانطباع الأول للباحث عن أفراد مجتمع أجنبي ما هو أن الأفراد في مركز معين ذوو شخصيات متشابهة"[40].

39 Weston, 1985, P. 17.
40) Linton, 1936, P. 484. In: Popp , Ulrike , 2002 , S. 232

إحدى الطرائق المفيدة للتأكد من صحة النماذج الاجتماعية هي الاستفادة من الفطرة الطبيعية لدى العامة أو في وسائل الإعلام، وهي البحث عن ألقاب خاصة تطلق على مجموعات معينة. فتأمل مثلاً دور مصطلح جديد " كالأبله" في البناء الاجتماعي لحقيقة هذا النموذج. كيف تنشأ مصطلحات كهذه؟ وعندما لا توجد مثل هذه المصطلحات، لا يمكن عادة أن تنشأ النماذج الاجتماعية في الواقع الاجتماعي. وقد استخدم هذا الدليل كل من ويرث وكلاب وسترونغ وتوب Taub وفينستون Finestone. وتعدُّ دراسة ويرث عام 1968 للنماذج الاجتماعية الغجرية أحد أفضل الأمثلة على فعالية هذا المنهج لأنه يلاحظ النماذج الاجتماعية عن طريق الألقاب التي يطلقها العامة أو وسائل الإعلام - وفي هذه الحالة المجتمع الغجري - على أشخاص معينين.

ويكتسب منهج تقصي الألقاب منطقيته من فرضية كلاب أنه "إذا كان الدور مهماً جداً فلابد أن يطلق عليه الناس اسماً ما"[41]، وفضلاً عن ذلك، يذكر كلاب:" عندما نحاول تشخيص الدور لابد من الكفاح لإصابة الهدف: وقد يجد ذو الفطنة اسماً له؛ أو قد يستخدم الناس اسم أول شخص يؤدي الدور بتميز(في الواقع أو الخيال)... وبعد أن يصنف النموذج يمكن له أن يتخذ مركزاً رسمياً، بل ويحدد أيضاً مركزاً قد يشغله الآخرون".[42]

وعلى سبيل المثال أطلق العامة في أمريكا لقب "Cats" في الخمسينيات على متعاطي المخدرات من الشباب الزنجي، مما عكس نموذجاً اجتماعياً حقيقياً نشأ في ذلك الوقت، كما ينطبق الكلام نفسه على ألقاب مثل: Egghead (واسع العلم والثقافة) وUncle Bim وTeddy Boys (مجموعة من الشباب المولعين بموسيقى الروك آندرول الذين تميزوا بأسلوبهم الخاص في اللباس) والتي ظهرت في الخمسينيات وHippies

41 Klapp 1956,P. 337. In: Hurrelmann, Klaus ,2002 , S.133.
42 Klapp, 1958,P. 676. In: Buckingham , David u.a.,2003,S.341.

(الوجوديون) في الستينيات وYuppies (المترفون أو أشخاص يقطنون المدينة ويكسبون الكثير من المال الذي ينفقونه في أمور الموضة) في الثمانينيات وDink (شخص صغير وأنيق وجذاب) في التسعينيات.

2. بناء قاعدة بيانات:

تعتمد طبيعة قاعدة البيانات المستخدمة في تحليل النموذج الاجتماعي على طبيعة هذا النموذج نفسه، فإذا كان البحث مرتكزاً على نموذج اجتماعي لم يعد موجوداً أصلاً كنموذج الغندور، فلابد هنا من المعلومات التاريخية التي يمكن أن نجمعها عن طريق الصحف وألبومات الصور والمراسلات الشخصية والرسمية والمذكرات والممتلكات الشخصية، وهنا تكون مهمة عالم الاجتماع شبيهة بمهمة عالم الآثار الذي يجمع القطع المبعثرة باستخدام دلائل ثقافية، ومن جانب آخر يمكن الاستفادة من اختيار الأفلام التلفزيونية والسينمائية وتحليلها عند التعامل مع النماذج الاجتماعية في العصر الحديث.

وتقتضي دراسة النماذج الاجتماعية المعاصرة طريقتين لجمع المعلومات الأساسية. تضم الطريقة الأولى المعروفة باسم "المشاركة التأملية" الطريقة السوسيولوجية للملاحظة المشتركة مع المقابلات المعمقة المباشرة لعينة تمثل مجموعة من النموذج الاجتماعي، وعلى سبيل المثال لإنشاء نموذج اجتماعي للطيارين المقاتلين، يمكن لعالم الاجتماع أن يلتحق بإحدى فرقهم النموذجية وأن يشارك في الفعاليات الروتينية اليومية ويقابل الطيارين ذوي الخبرة. استخدم هذا المنهج كل من أندرسون في دراسته لنموذج المتشرد وفورسيث Forsyth وبانكستون Bankston في دراستهما لنموذج التاجر البحار حيث شاركاهم في حياتهم، وقاما بمقابلات مطولة ومعمقة مع بحارين متقاعدين وآخرين على رأس عملهم للحصول على معلومات ذاتية اجتماعية عامة ومفصلة فيما يتعلق بنمط معيشتهم[43].

43 Forsyth and Bankston, 1983.

أمَّا الطريقة الثانية، وهي أكثر تعقيداً بعض الشيء، فقد استخدمها توماس Thomas وزنانيكيZnaniecki (1928) في دراستهما الشهيرة الفلاح البولندي، وسوذرلاندSutherland (1963) في دراسته اللص. تعتمد هذه الطريقة التي ناقشها برجيس Burgess في نهاية كتاب شو Shaw على رسم سيرة ذاتية لعينة تمثل مجموعة، وذلك بتعاون هذه العينة تعاوناً كاملاً. يقدم شو في دراسته افتراضاً فحواه أن خبرات الجانح كنموذج مشابهة تقريباً لخبرات عدد كبير من الجانحين الأحداث. كما قام برجيس بمقارنة دور عالم الاجتماع الذي يتبع هذه الطريقة مع دور "كاهن الاعتراف"[44]. ومن المفروض أن خبرات العينة تعكس خبرات الصنف الذي تمثله، وفي حالة شو تمثل المجتمع المجرم.

ومهما كانت الطريقة المتبعة يجب أن تحتوي البيانات المجموعة على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن طريقة تفكير النموذج الاجتماعي وسلوكه. فيمكن تشبيه عالم الاجتماع هنا بالبوليس السري الذي يجمع ويسجل أدلة تافهة كعادات الأكل والذوق الجماعي والسلوك اللغوي. وكما هي الحال في اكتشاف لغز الجرائم غالباً ما تكون مثل هذه الأمور البسيطة مفاتيح بالغة الأهمية لكل القصة التاريخية الاجتماعية التي تقف وراء ظهور النموذج الاجتماعي.

ويعدُّ السلوك اللغوي من بين المصادر المهمة لهذا النوع من المعلومات، فقد طورت العديد من النماذج الاجتماعية لغة خاصة بها حيث تستخدم غالباً كلمات وعبارات لا يفهمها سوى أعضاء المجموعة. فعلى سبيل المثال، كان لنموذج الـ "Cat" مجموعة كبيرة ومتنوعة من المفردات التي تصف جميع مراحل خبرته مع المخدرات، فضلاً عن ذلك لم يكن يكفي هذا النموذج الكلمة التقليدية حتى مع الأشياء

44 Burgess, 1968,P. 190. In: Hoffmann , Dagmar , 2003 S. 355 .

العادية"[45]. كما وضح سوزرلاند أهمية السلوك اللغوي الاجتماعي حيث يكشف تحليله معاني لغة اللص العامية عن مكونات معيارية لعالم اللص[46].

3. التحليل باستخدام علم الإشارة:

تتضمن الخطوة الثالثة في تحليل النموذج الاجتماعي معالجة البيانات المجموعة، ونظراً إلى أن معالجة كهذه تستلزم تفسيراً رمزياً، يصبح ضرورة اتباع منهج بارثي Barthes[47] في علم الإشارة لأنه يفسر الرموز الثقافية التي تتضمنها الأشياء المادية (كاللباس والنعل والحلي)، وفي بعض عناصر "روح الشعب" كالموسيقى والأدب واللغة باستخدام سلسلة من الإيحاءات المشتقة من الرموز أو العلامات، فكان شعر الوجودي الطويل في ذلك الوقت يوحي بالأنوثة التي عكست بدورها فكرة مشتركة للجنس، وبتطبيق هذه العلاقة النموذجية يمكن لنا التأكد من العناصر المعيارية لجماعة الوجوديين. ويمكن للرمز نفسه أن يوحي بسلسلة من الإيحاءات. ففي نظر العامة يمكن أن يشير الشعر الطويل مثلاً إلى سلوك غير حضاري يدل بدوره على قيم ثورية جديدة وعصرية، وهذا هو الانطباع الذي كان الوجوديون يعزمون على إيجاده، ويمكن للشخص الحصول على صورة للخصائص البارزة والتوضيحية التي تشكل شخصية النموذج الاجتماعي، وذلك من خلال دلائل متقاطعة بين المستويات المعنوية المختلفة في دراسة علامات النموذج الاجتماعي.

4. بناء النموذج الأولي:

الخطوة الرابعة من خطوات تحليل النموذج الاجتماعي هي تسمية الخصائص التي تشكل أنماط النموذج الاجتماعي تسمية ملائمة، أو استخدام مصطلح لماكس فيبر استشهد به سميث وهو تحقيق "التناسق المعنوي" وتكمن مهمة عالم الاجتماع هنا في

45 Finestone ,1957, P. 4 . In: Mikos , Lother , 2003, S.46.

46 فكلمة "Front" مثلاً (اللباس والمظهر لاستخدام التأثير لديه) تدل على مهارات المناورة والبراعة لديه.

47 Barthes 1967, 1977. In: Geulen , Dieter ,2002, S.188

تشكيل المكونات المعرفية الثقافية الخاصة بكل من هذه النماذج (الأساليب والمثاليات وأنماط التفاعل، الخ) التي تميز النموذج ومن ثمَّ تخلق نموذجاً أولياً.

وقد قام سواي Sway بتقديم قائمة مشابهة من السمات النموذجية أو "الخصائص المميزة" في تعداده السمات الأساسية الإحدى عشرة التي تشكل نموذج الغجري: "غموض الأصل" و"كثرة التجوال" الخ[48].

كما طبق سميث عملية مشابهة في دراسته لنموذج الغندور. ومن الأمور المهمة جداً أن نطلق اسماً استذكارياً على كل سمة تميز النموذج لكي نستطيع تحديد عناصره المتنوعة بإيجاز، ومن الأمثلة الجديدة في هذا الصدد ما قدمه سواي عن خصائص نموذج الغجري.

5. التحليل التاريخي الاجتماعي:

الخطوة الخامسة من خطوات تحليل النموذج الاجتماعي هي تطوير إدراك شامل للجذور الثقافية للنموذج الاجتماعي، الشيء الذي يمكن تحقيقه من خلال بحث تاريخي اجتماعي لكل سمة كالنموذج الذي يقدمه سميث في تحليله لنموذج الغندور إذْ يهدف إلى تطوير "مفهوم الانحلال والتفسخ البنيوي ليوضح كيف أن هذه الجذور تمكننا من وصف الشروط التي ينشأ من خلالها تركيز عام على النموذج"[49]. كما استخدم هذه الطريقة أيضا كوهين في بحثه حول الـ(Mod) وال Rocker. لاحظ أولاً السمات النموذجية للمود والروكر وبعدها عالج الأسئلة السلوكية التالية: "كيف نشأ نموذج المود والروكر؟ لماذا تصرف بعض الشباب الذين تعاطفوا بعض الشيء مع هذه الجماعات بالطريقة التي تصرفوا بها؟ "[50].ومن الأمثلة الأخرى على استخدام هذه

48 Sway, 1981, P. 42.

49) Smith, 1974, P. 72 .

50 المود هو أحد أفراد جماعة ظهرت في بريطانيا في الستينيات وتميزت باللباس الأنيق واتباع الموضة. أمَّا الروكر فهو عضو جماعة ظهرت في بريطانيا أيضاً في الستينيات وتميزت بلبس الجاكتات الجلدية وركوب الدراجات النارية والاستماع لموسيقى الروك.

المنهجية نذكر تحليل جود Judd التاريخي الاجتماعي للوجوديين الذي تتبع فيه توجههم القيمي.

ويمكن دراسة الجذور التاريخية الاجتماعية لخصائص النموذج الاجتماعي وتتبعه من خلال توضيح العمليات التي يتم بها تحويل النموذج إلى نموذج اجتماعي. ومن المفيد جداً لهذه الغاية فهم طبيعة قوى التحويل الاجتماعي وعوامله. ففهم سميث للآلية الاجتماعية في مدارس إستون Eton وأكسفورد Oxford في انكلترا القرن التاسع عشر ساعده على إلقاء الضوء على مصادر نشأة الغندور في الثقافة الانكليزية.

سادساً - النتائج العامة

1 . في مجال مفهوم النموذج الاجتماعي:

أ- كشفت مراجعة الأدب الاجتماعي عن وجود تعريفات غامضة ومتشعبة لمفهوم النموذج الاجتماعي، والتي غالباً ما تكون متناقضة تماماً .

ب- أدى هذا التشعب والتناقض في مفهوم النموذج الاجتماعي، إلى عدم اتفاق العلماء على مفهوم محدد للنموذج الاجتماعي.

ج- يتم إدراك النماذج الاجتماعية كشخصيات خرافية أي كصور شعبية شكلتها المخيلة الجماعية، ومن جهة أخرى يتم ربط النماذج الاجتماعية بأشخاص حقيقيين.

د- قد تنقسم المكانة المعرفية لمفهوم النموذج الاجتماعي إلى قسمين أساسيين: أولاً، كأداة يستخدمها الجميع يومياً؛ وثانياً، كأداة تحليلية لعلماء الاجتماع.

هـ- النماذج الاجتماعية مازالت وربما أكثر من أي وقت مضى صلة وصل مهمة بين الفرد وثقافته.

و- النموذج الاجتماعي وتحليلاته ليس مجرد جسر يربط بين الفرد ومجتمعه، بل يقدم أيضاً رابطاً قوياً بين المهارات السوسيولوجية والطرائق المعرفية الحدسية للعامة على وجه العموم.

ز- أظهر التحليل أن هناك فرقاً رئيسياً بين مفهوم النموذج الاجتماعي ومفهوم النموذج الأولي.

2 . في مجال مدى تطابق النموذج الاجتماعي مع مؤدي الدور:

أ- يشير النموذج الاجتماعي أكثر إلى الثقافة بما في ذلك المعتقدات والأفكار والخرافات والأعراف والأوضاع البيئية، الخ، في حين يشير الدور أكثر ما يشير إلى التركيبة الاجتماعية، أي إلى نظام التفاعلات والتعامل.

ب- ينتج معظم سلوك الدور عن مصادر مؤسساتية في حين ينشأ معظم سلوك النموذج الاجتماعي بشكل عفوي.

ج- يتبنى النموذج الاجتماعي بشكل لا شعوري العديد من الخصائص من خلال التشبه والتشرب، أمَّا سلوك الدور فيتم من خلال قوانين محددة.

د- يتميز النموذج الاجتماعي عن ممثل الدور بنطاق أوسع من الأشكال السلوكية. وفضلاً عن عرض أشكال سلوكية خارجية معينة، يظهر النموذج الاجتماعي، خلافاً لممثل الدور، عالماً داخلياً وطريقة تفكير خاصة.

هـ - سلوك الدور ليس ثابتاً بل مؤقتاً، ينتقل من دور إلى آخر. في المقابل نجد النموذج الاجتماعي قد أصبح جزءاً مغروساً ومطبوعاً بالكامل في شخصية الفرد مدى الحياة، وأكثر ثباتاً وقدرة على صياغة شخصية دائمة، أو على الأقل لمدة طويلة من الزمن.

و- يرتبط النموذج الاجتماعي بعدد أكثر أهمية من السمات. في حين يـرتبط الـدور بعدد أقل أهمية من السمات.

ز- سلوك الدور غالباً ما تخلقه أو تمليه المنظمات والمؤسسات الاجتماعية في حـين يميل سلوك النموذج الاجتماعي عادة للظهور والتشكل عبر شخصية كاريزميـة أو مجموعة أولية مثالية.

ح- تميل الأدوار لاستخدام معايير لا شخصية للأداء كالفعالية والإنجاز والإنتاجيـة. لكن النموذج الاجتماعي يميل للتقييم بطريقة شخصية أكثر، وغالباً ما يحتوي علـى عناصر نموذجية أولية ويرتكز على نطاق واسع من المعايير الأخلاقية.

3 . في مجال مصادر (آليات) ظهور النماذج الاجتماعية الممكنة:

أ- يشكل نموذج الدور المهني المصدر الأول في تشكيل النموذج الاجتماعي، ويتميز" نموذج الدور المهني " بتقمص دور مهني معين بحيث يتم أداء الدور لا في سـياق التعامل مع شريك الدور فحسب بل أيضاً على وجه العموم بما فـي ذلـك الحيـاة الخاصة.

ب- تشكل السمات الفطرية والميول التي تشكل شخصية نموذجية، المصدر الثاني من مصادر تشكيل النموذج الاجتماعي. ويتصف نموذج الشخصية بسمة نفسية سـائدة أو بعدد من السمات التي تشمل كل السمات الأخرى وتنعكس على تفكير الـشخص وسلوكه اليومي.

ج- المصدر الثالث من مصادر النموذج الاجتماعي هو نموذج يكـون فيـه الـسلوك السائد متطابقاً مع ثقافة الفرد أو ثقافته الفرعية.

د- ويشكل الخيال المصدر الرابع للنماذج الاجتماعية حيث يتضمن النموذج الخيـالي الجديد أفراداً تشكلت شخصيتهم عن طريق التشبه بشخصية خياليـة مـا ابتـدعتها

مخيلة الكتاب أو المخرجين، أو عن طريق تقليد أبطال الوطن كالمشاهير وأعـــلام الفن والرياضة والعسكريين. وتشكل هذه النماذج مصدراً مستمراً لجـــذب الـــذات الجماعية وفتنتها بشكل بطيء لتخضع لعملية تجسيد، وتصبح أخيراً نماذج اجتماعية حية وحقيقية.

هـــ- نما في الواقع دور التشبه بالمشاهير وتعاظم بمساعدة رأس المال والتكنولوجيـــا المتقدمة إلى درجة استخدام هذا التأثير اليوم كعامل تغيير في الـــصياغة الحقيقيـــة للنموذج الاجتماعي. إن النماذج الاجتماعية الناتجة ليست مجرد ثمرة عرضية لهذا الخيال بل هي أيضاً في النهاية انعكاس لروح العصر الذي يعيش فيه الفنان ويتـــأثر به.

4 . في مجال خطوات تحليل النموذج الاجتماعي:

أ- على الباحث أن يكون مقتنعاً أن تصنيف النموذج الاجتماعي ليس شيئاً وهمياً، وأن المجموعة أو الصنف شيء موجود على أرض الواقع، وعلى الباحـــث ألا ينخـــدع بالملاحظة الذاتية الناتجة عن انطباعات أولية سطحية.

ب- بناء قاعدة بيانات تعتمد على طبيعة هذا النموذج نفسه، ومهما كانـــت الطريقـــة المتبعة يجب أن تحتوي البيانات المجموعة على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن طريقة تفكير النموذج الاجتماعي وسلوكه .

ج- معالجة البيانات المجموعة، ونظراً إلى أن معالجة كهذه تستلزم تفـــسيراً رمزيـــاً، يصبح ضرورة اتباع منهج علم الإشارة لأنه يفسر الرموز الثقافية التي تتـــضمنها الأشياء المادية (كاللباس والنعل والحلي)، وفي بعض عناصر كالموســـيقى والأدب واللغة باستخدام سلسلة من الإيحاءات المشتقة من الرموز أو العلامات.

د- تسمية الخصائص التي تشكل أنماط النموذج الاجتماعي تسمية ملائمة، وتحقيق التناسق المعنوي، وتكمن مهمة عالم الاجتماع هنا في تشكيل المكونات المعرفية الثقافية الخاصة بكل من هذه النماذج (الأساليب والمثاليات وأنماط التفاعل، الخ) والتي تميز النموذج ومن ثمَّ تخلق نموذجاً أولياً.

هـ- تطوير إدراك شامل للجذور الثقافية للنموذج الاجتماعي، الشيء الذي يمكن تحقيقه من خلال بحث تاريخي اجتماعي لكل سمة، إذْ يهدف إلى تطوير مفهوم الانحلال والتفسخ البنيوي ليوضح كيف أن هذه الجذور تمكننا من وصف الشروط التي ينشأ من خلالها تركيز عام على النموذج.

سابعاً - المقترحات

1 – عندما نتحدث عن النموذج الاجتماعي، فإننا نبحث عن أوجه تشابه ضمن المجموعة أو الصنف التي يميزها النموذج الاجتماعي، وليس عن تجانس تام. وبكل تأكيد ينبغي لنمط النموذج الاجتماعي هذا أن يميز غالبية أعضاء المجموعة وليس الحالات الاستثنائية أو الهامشية.

2 – عند استخدام مصطلح "السمات النموذجية"، يجب علينا ألا نفترض أن كل فرد من أفراد الأغلبية يملك بالضرورة جميع السمات النموذجية التي يظهرها النموذج الاجتماعي الذي هو بمنزلة نموذج مثالي من أجل تحليل السمات المميزة لنموذج معين من الأفراد. وبهذا يكون النموذج الاجتماعي العينة المثالية لمجموعته الثقافية أو النموذج الأولي لسلوك بشري خاص وطرائق تفكير معينة.

3 - النموذج الاجتماعي هو مفهوم تحليلي ووصف مجرد نشأ عن عدد من الحالات الحقيقية من أجل أن يظهر سماتها الجوهرية العامة. وفي حين قد يكون الأمر ممكناً أن نجد فرداً قريباً جداً من الشكل التحليلي لنموذجه الاجتماعي، فإن هذا الحال لا ينطبق على الوصف النظري للنموذج الاجتماعي.

4 - وقد تنشأ صعوبة نظرية في تحديد عدد السمات الخاصة بنموذج اجتماعي معين الواجب توافرها في الشخص ليكون ملائماً لهذا النموذج. فالمشكلة ليست كمية؛ قد يكون هناك أيضاً اختلاف نوعي في أهمية السمات الفردية التي تشكل الشخصية المميزة للنموذج الاجتماعي.

5 - ويمكن لتحليل النموذج الاجتماعي أن يسرع عملية تطوير علم الاجتماع التكاملي من خلال استثمار الميزات التي يقدمها التحليل الحدسي للفنون والصحافة والتاريخ والأدب واللغويات.

6 – ولمَّا كانت النماذج الاجتماعية تمثل في الواقع ثقافتها فإنها ربما تصلح أن تكون دراسة لبعض الحالات كمقارنة الجماعات والأصناف البشرية والاسم وروح العصر ونمذجتها، وبقدر ما ينتج المجتمع نماذج اجتماعية يمكن لهذه النماذج أن تكون أداة لتحليل التحول الاجتماعي.

7 - وقد يكون "تحديد" نماذج اجتماعية جديدة جديراً بالاهتمام بشكل خاص. فنحن نعيش في مرحلة درامية متسارعة حيث تقوم التطورات التكنولوجية بصهر الثقافات في بوتقة عالمية متجانسة، وقد حولت التغيرات الثقافية في المجتمعات المفرطة في العصرية الأجيال البيولوجية الجديدة إلى أجيال ثقافية جديدة.

8 - ويمكن أن يقدم لنا اكتشاف نماذج اجتماعية جديدة وتحليل سماتها النموذجية مؤشراً حقيقياً للاتجاهات الثقافية لتلك المرحلة.

9 - وقد يكون مفهوم النموذج الاجتماعي مفيداً جداً في سياق نظرية الانتشار الاجتماعي إذْ يمكننا أن نحقق فهماً أفضل للانتشار الثقافي من خلال تحليل مصادر السلوك وطريقة التفكير التي تميز نموذجاً اجتماعياً معيناً.

10 - واليوم وفي عصر وسائل الإعلام والاتصال أصبحت الشعوب المتقدمة صناعياً تصدر نماذج الدور التي تغير السمات النفسية، وهكذا نجد أن حقيقة تشارك المجتمعات بنماذج متشابهة يقدم لنا دليلاً إضافياً على أهمية وسيلة الانتشار الثقافي ومداه بين الأمم.

11 - وقد يكون مفهوم النموذج الاجتماعي مفيداً أيضاً في التحليل السوسيولوجي للمهن. وربما يدل ظهور نماذج الدور المهني أو اختفاؤه على توقعات ونتائج اجتماعية فضلاً عن آليات ونماذج مهنية جديدة.

12 - وقد لا يهدف الحديث عن النماذج الاجتماعية إلى التغيير فقط، بل قد يهدف أيضاً إلى المساعدة في اكتشاف نقاط ثبات ضمن التركيبات الاجتماعية المتقلبة والمتغيرة، وهكذا قد يتم عرض هذا المفهوم كلحن مضاد للنظريات الحديثة وما بعد الحديثة على حد سواء، التي تُعِدُّ انعدام الاستقرار إحدى الخصائص الأساسية في مجتمعات اليوم.

13 - يمكن لنا في بحث النماذج الاجتماعية أن نقدم أداة علمية لتحليل السلوك الجماعي. فكل الثورات والشغب والحشود والمظاهرات السياسية والحروب تشكل خلفية ثقافية جديدة يمكن أن تظهر من خلالها نماذج اجتماعية جديدة، هذه النماذج الجديدة يمكن أن توصف وصفاً جدلياً بأنها "ثمار التغير الثقافي" أو "الهجين الثقافي".

14 - يستحق مفهوم النموذج الاجتماعي اهتماماً أكبر من قبل علماء الاجتماع، فهو بلا شك آلية تمكنهم من نقل تعقيدات بحثهم إلى جمهور عريض وكبير، والخطير في الأمر إهمالنا لهذه المهمة، فمن المفيد في الأمر من وجهة نظر علماء الاجتماع أن نطور قدماً تراث علم اجتماع النماذج الاجتماعية من خلال البحث وإجراء الدراسات العلمية المناسبة.

المرجع الإنكليزية

- Arditi, G. ,"Role as a Cultural Concept." *Theory and Society*, 1987 .
- Barthes, R. , *Elements of Semiology.* New York: Hill and Wang, 1967..
- Bellah, N. R., Madsen, R., Slivan, M. W., Swidler A., and Timpton M. S. , *Habits of the Heart - Individualism and Commitment in American Life.* Berkley: University of California Press, 1985..
- Booth, B. and Blair, M. , *Thesaurus of Sociological Indexing Terms* 2nd ed. San Diego: Sociological Abstracts In,1989..
- Burgess, W. E. , "Discussion." Pp. 184-205 in Shaw, R. Clifford. *The Jack Roller.* Chicago and London: The University of Chicago Press,1968.
- Coser, A. L. , *The Pleasure of Sociology.* New York: Signet, 1974.
- Finestone, H. , "Cats, Kicks and Color." *Social Problems*, 5, 1957.
- Forsyth, C. J. and Bankston W. B. , "Seaman as a Social Type: A Marginal Life-style." *Free Inquiry in Creative Sociology*,1983.
- Glick, C.E. , "Social types in Race Relations.", Oxford: University Press,1955.
- Goffman, E. , *The Presentation of Self in Everyday Life*, New-York: Doubleday,1959.
- Goffman, E. , *Encounters: Two Studies in the Sociology of Interaction*, New York: Bobbs-Merril, 1961.
- Hoerr, L. C. , "The Clown's Function." *Journal of American Folklore* 58,1945.
- Kanter, M. R. , "Managers." in *Men and Women of the Corporation*, New-York, Basic Books,1977.
- Klapp, E. O. , "The Fool as a Social Type." *American Journal of Sociology* 55,1949.
- _____, "American Villain-Types." *American Sociological Review* 21,1956. Klapp, E. O. , "Social Types: Process and Structure." *American Sociological Review* 23, 1958.
- _____. , *Symbolic Leaders.* Chicago: Aldine Publishing Co,1964.

- Linton, R. , *The Study of Man.* New York: Appleton-Century-Crofts Inc,1936.
- _____, "The One Hundred Percent American." *The American Mercury*, 40,1936.
- Mitchel, G. D. , *A New Dictionary of Sociology.* London and Henley: Routledge and Kegan Paul,1979.
- Park, E. R. , "Human Migration and the Marginal Man." *American Journal of Sociology* 33, 1928.
- Reading, H. F. , *Dictionary of the Social Sciences.* London: Routledge and Kegan Paul,1977.
- Robertson, I. ,*Sociology. (* 3d ed). New-York: Worth, 1987.
- Sa'd al-Din, I. , "Arab Social Change: Six Profiles." *The Jerusalem Quarterly* 23,1982.
- Schaef, A. W. , *The Addictive Organization.* San Francisco: Harper and Row,1988.
- Schutz, A. , *The Phenomenology of the Social World.* Northwestern University Press,1967. .
- Smith, S. T. , "Aestheticism and Social Structure: Style and Social Network in the Dandy Life." *American Sociological Review* 39, 1974.
- Smith, E. R. and Z'arate, M. A. , "Exemplar-Based Model of Social Judgment." *Psychological Review* 99,1992.
- Strong, M. S. , "Social Types in a Minority Group: Formulation of a Method." *American Journal of Sociology* XLVIII,1943.
- Sway, B. M. , "Simmel's Concept of the Stranger and The Gypsies." *The Social Science Journal* 18,1981.
- Sutherland, E. H. , *The Professional Thief*, Chicago and London: The University of Chicago Press1963.
- Turner, H. R. , "The Role and the Person." *American Journal of Sociology* 84, 1978, 1-23.
- Weston J. , *The Real American Cowboy.* New York: Schocken Books,1985.

- Whyte, H. W. Jr. , *The Organization Man.* New York: Simon and Schuster,1957.
- Wirth, L.,"Some Jewish Types of Personality", New York: Greenwood Press 1968.
- Zorbaugh, W. H. , (Originally published in 1925) "The Dweller in Furnished Rooms: An Urban Type" , New York: Greenwood Press, 1968.

المراجع الألمانية

- Bauer , Ullrich (2002) : Selbst -und / oder Fremdsozialstation . Zur Theoriedebatte in der Sozialisationsforschung,Zeitschrift für Soziologie der Erziehung und Sozialisation, 22 , 2002 ,
- Baumann , Zygmunt , Video und interkulturelle Kommunikation . München : kopaed,2003.
- Buckingham , David u.a., (hrsg.) , Video Kulthure . Video und interkulturelle Kommunikation . München : kopaed,2003.
- Böhnisch , Lothar , Schroer , Wolfgang , Entgrenzung von Jugend. Das Modellprojekt „Netzwerk Jugendliche an der zweiten Schwelle „ , In : Quem Bulletin , 6 , Berlin, 2002.
- Deutsche , Shell ,Zwischen pragmatischem Idealismus und robustem Materialismus. Frankfurt / M .,2003 .
- Griese , Hartmut M. , Mansel , Jürgen , Sozialwissenschaftliche Jugendforschung . Jugend , Jugendforschung und Jugenddiskurse. Ein Problemaufriss . Soziologie ,2003.
- Grundmann , Matthias , Sozialisation und die Genese von Handlungsbefähigung . Stuttgart : Lucius & Lucius ,2002.
- Geulen , Dieter , Subjekt , Sozialisation , „ Selbstsozialisation „ . Einige kritische und einige persönliche Bemerkungen . In : Zeitschrift für Soziologie der Erziehung und Sozialisation , 22 , H.2,2002.
- Hoffmann , Dagmar , Jugend und Medien – eine Übersicht . In : J. Zinnecker , H. Merkens (Hrsg.) : Jahrbuch Jugendforschung , Opladen : Leske + Budrich,2003.

- Hoffmann, Dagmar, Merkens, Hans (Hrsg.), Jugendsoziologische Sozialisationstheorie . Weinheim , München : Juventa, 2004.
- Hurrelmann, Klaus , Einführung in die Sozialisationstheorie . 8. Auf. Weinheim , Basel : Beltz , 2002.
- Kleemann , Frank , Matuschek , Ingo, Voß , Günter , Subjektivzierung von Arbeit . Arbeitsbericht des INAG. Chemnitz ,München,2003.
- Maihofer , Andrea , Geschlecht und Sozialisation . Eine Problemskizze. In : Erwägen Wissen Ethik (13), Stuttgart : Lucius & Lucius ,2002.
- Mikos , Lother , Amok in der Mediengesellschaft, Berlin, 2003.
- Popp , Ulrike , „Sozialisation „ - substanzieller Begriff oder anachronistische Metapher ? In : Zeitschrift für Pädagogik(48) ,2002 .
- Reinders , Heinz , Inerthnische Freundschaften Jugendlicher ,Ergebnisse einer Pilotstudie bei Hauptschülern . Hamburg : Kovac,2003 .
- Scherr , Albert , Konturen einer genuin soziologischen Jugendforschung, Weinheim , München : Juventa ,2003 . ·

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2009/7/1.